جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا
كلية الدراسات العليا
كلية التربية ـ قسم اللغة العربية

المرأة في شعر الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي
عروة بن الورد أنموذجاً
The Women Among the Trampling Poets in the Pre-Islamic Era
Urwa Ibn Al-Ward as a Model

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية

إعداد الطالبة:
أسمهان النور سعد علي
إشراف الدكتور:
محمد عبد القادر الصديق علي

١٤٤٣هـ ـ ٢٠٢٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

استهلال

قال تعالى:

(رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي) .

صدق الله العظيم

سورة طه، الآيات: (٢٥ – ٢٨)

إهـــــداء

أُهدي ثمرة هذا الجهد لأمي الحبيبة الشـمس المنيـرة التـي مـا فتئـت تهبنا الدفء والضياء..

ولمن قضى عمريهمـا كفاحـاً مـن أجلـي حتـى وصـلت إلـى هـذه المرحلة. والدي الغاليين أطال الله عمرهما ومتعهما بالصحة والعافية..

وإلى إخواني وأخواتي..

وإليك أستاذي الدكتور/ **محمـد عبـد القـادر الصـديق**، فقـد وضـعت قدمي على بداية الطريق..

وإلى زميلاتي وإلى من لم تلده أمي أخـواني وأخـواتي فـي الله محبـي لغة الضاد..

وإلى كل طالب علم ومعرفة.

شكر وتقدير

الحمد لله حمد الشاكرين نحمده ونشكره على كل نعمة والذي بنعمته تتم الصالحات القائل في محكم تنزيله: (رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ). "سورة النمل، الآية: ١٩".

الشكر الجزيل موصول لجامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا وأسرة كلية التربية، كما أتقدم بخالص شكري وتقدير إلى الأستاذ/ علي عدار الذي ساعدني في طباعة هذا البحث.

إذا كان لأهل العطاء وفاءٌ فليمتد صوتي عالياً إلى أستاذي الجليل الدكتور/ **محمد عبد القادر الصديق علي** الذي كان له فضل الإشراف على هذا البحث، وذلك من خلال توجيهه وإرشاده الدائم لي.

والشكر موصول لكل الذين أسهموا معي من زميلاتي ومعلميّ ومعلمات.. وإلى كل من مدَّ لي يد العون والمساعدة لإعداد هذا البحث.. الله أسأل أن يثيبهم جميعاً على ما فعلوا وأن يتقبل مني هذا العمل إنه سميع مجيب.

الباحثة

مستخلص

تناولت هذه الدراسة المرأة في شعر الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي (عروة بن الورد أنموذجاً). هدفت هذه الدراسة التعريف بالصعلكة، ورصد أسباب ظاهرة اهتمام الشاعر بالمرأة، والتحقق من مدى تأثير عادات وقيم المجتمع الجاهلي. واتبعت الدراسة المنهج الوصفي. تناولت الدراسة في الفصل الأول التعريف بالصعلكة، وجاء الفصل الثاني متناولاً المرأة في الشعر الجاهلي، أما الفصل الثالث فتحدثت فيه عن المرأة في شعر عروة بن الورد. أسفرت الدراسة عن نتائج منها: أن شعر الصعاليك كان أكثرهم عدائيين لوصف الخيل والسلاح، وأن شعر الصعلكة تميز بخصائص فنية تميزه من غيره لأنه في جوهره شعر حماسي تتفجر فيه صيحات الفخر، وأن شعر الصعلكة يختلف عن شعر الجاهلية عامة حيث لديه وحدة الغرض.

Abstract

The study dealt with women among the trampling poets in the pre-Islamic era (Urwa Ibn Al-Ward as a model). The aim of this study was define the balsam, to monitor the causes of the phenomenon of the poet's interest in women, and to verify the extent of the customs and values of the pre-Islamic society. The study followed the descriptive method. The first chapter dealt with the definition of the balsam, the second chapter dealt with women in pre-Islamic poetry, and the third chapter I talked about women in the poetry of Urwa Ibn Al-Ward.

The study yielded results: The poetry of the tramps was the most hostile to describing horses and weapons, and the poetry of the tramp was distinguished by artistic characteristics that distinguish it from others because it is in essence enthusiastic poetry in which shouts of pride erupt, and the tramp differs from the poetry of pre-Islamic era in general, as it has a unity of purpose.

فهرس المحتويات

الـــمـــوضـــــــــوع	الصفحة
استهلال	أ
إهداء	ب
شكر وعرفان	ج
مستخلص	د
Abstract	هـــ
فهرس المحتويات	و
المقدمة	١
الدراسات السابقة	٤
الفصل الأول	٦
الصعلكة	
المبحث الأول: الصعلكة مفهوماً وأسباباً، وأنواعاً، وصفاتاً	٧
المبحث الثاني: شعر الصعلكة وأغراضه	١٢
المبحث الثالث: خصائص شعر الصعلكة	١٦
الفصل الثاني	١٩
المرأة في الشعر الجاهلي	
المبحث الأول: الغزل في الشعر الجاهلي	٢٠
المبحث الثاني: وصف المرأة في الشعر الجاهلي	٢٦
المبحث الثالث: صور المرأة عند الشاعر الجاهلي	٢٨
الفصل الثالث	٣٥
المرأة في شعر عروة بن الورد	
المبحث الأول: التعريف بعروة	٣٦
المبحث الثاني: المرأة في شعر عروة بن الورد	٤٢
المبحث الثالث: دراسة فنية بنماذج من شعره	٤٥

الخاتمة	٦١
النتائج	٦١
التوصيات	٦٢
المصادر والمراجع	٦٣

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.. وبعد:

الشعر الجاهلي هو المادة التي استقى منها الباحثون أبحاثهم في معرض تلمسهم لمجاهل حياة العرب في الجاهلية بشتى مناحيها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، ولو نظرنا لهذا الشعر نظرة عجلى لوجدنا المرأة نالت منه حظاً وافراً حتى غدت معلماً من معالم هذا العصر لا تكاد تفتتح قصيدة جاهلية إلاَّ بمقدمة غزلية، كالوقوف على الأطلال وغيرها.

لقد كانت المرأة ركناً من أركان المجتمع الجاهلي، وأساس من أسسه، وحجراً مهماً في بنائه الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، فهي التي تتدب الرجال وتربي الأطفال، وربما شاركت في القتال، كذلك نجدها الحضن الدافئ الذي يلجأ إليه الإنسان العربي يبثه همومه وأحزانه وآلامه، كما أنها مثلت مصدر إلهام للشعراء يبكون على فراقهم ويتشوقون لرؤيتها ويتعذبون بصرمها، وطالما صورها بصورة العفيفة الطاهرة، وهي المتمنعة المصونة وطالما افتخروا بحمايتها ورعايتها وصونها، لذلك كثرت الدراسات التي تناولت المرأة العربية في العصر الجاهلي، ولكن الذي أثار اهتمامي ولفت انتباهي شريحة مهمة في المجتمع الجاهلي آثرت العيش في مجاهل الصحراء، وشعاب الأودية واستصحاب الوحوش، وافتراض الأرض، والتحاف السماء آثرت على نفسها التمرد على ظلم الظالمين، آلت على نفسها إلاَّ أنّ تكسر قيود القبيلة، التي تميزت بقوتها وتعصب أهلها لها، رفضت الفقر وعيش الهوان ورأت العز في الغزو وانتزاع الحقوق من الظالمين انتزاعاً.

وهذه الشريحة من المجتمع هي جماعة الصعاليك التي لم تنل حظاً من الدراسة الوافية ربما يرجع ذلك إلى قلة الأخبار عنهم لأنهم عاشوا معزولين في الصحراء.

أهمية البحث:

تنبع أهمية البحث في معرفة الصعلكة، ومعرفة أنواعها وصفات شعرائهم والتطرق إلى أشعارهم، ومعرفة خصائص شعرهم مما ينعكس على المكانة الاجتماعية ونظرة المجتمع الجاهلي للمرأة.

أهداف البحث:

١/ التعريف بالصعلكة.

١/ رصد أسباب ظاهرة اهتمام الشاعر بالمرأة.

٣/ التحقق من مدى تأثير عادات وقيم المجتمع الجاهلي.

حدود البحث:

يدرس هذا البحث المرأة في شعر الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي (عروة بن الورد نموذجاً).

منهج البحث:

اتبعت الباحثة المنهج الوصفي.

هيكل البحث:

قسمت الدراسة إلى ثلاثة فصول تسبقها مقدمة وتقفوها خاتمة مذيلة بفهارس ومصادر ومراجع وهي على النحو التالي:

الفصل الأول: الصعلكة.

المبحث الأول: الصعلكة مفهوماً، وأسباباً، وأنواعاً، وصفاتاً.

المبحث الثاني: شعر الصعلكة وأغراضه.

المبحث الثالث: خصائص شعر الصعلكة.

الفصل الثاني: المرأة في الشعر الجاهلي.

المبحث الأول: الغزل في الشعر الجاهلي.

المبحث الثاني: وصف المرأة في الشعر الجاهلي.

المبحث الثالث: صور المرأة عند الشاعر الجاهلي.

الفصل الثالث: المرأة في شعر عروة بن الورد.

المبحث الأول: حياته ونشأته.

المبحث الثاني: المرأة في شعره.

المبحث الثالث: دراسة فنية بنماذج من شعره.

الخاتمة: وتشمل؛ النتائج والتوصيات.

المصادر والمراجع.

الفهارس.

الدراسات السابقة:

١/ دراسة: أحمد سلمان مهنا، ٢٠٠٧م[١]:

بعنوان: المرأة في شعر الصعاليك في الجاهلية والإسلام.

أما صلة هذه الدراسة بدارستي تختلف عن دراستي أن هذه الدراسة تناول الصعاليك في الجاهلية والإسلام بينما دراستي تناولت العصر الجاهلي فقط.

٢/ دراسة: وداد دشون، ٢٠١٨م[٢]:

بعنوان: الوصف عند الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي.

تتفق مع دراستي في أن كل منهما تناول موضوع الصعلكة، وتختلف في أن دراستي اقتصرت على المرأة عند الشعراء الصعاليك في حين أن الدراسة السابقة تناولت وصف المراقب عند الشعراء الصعاليك.

٣/ دراسة: عبد الرحيم عصام، ٢٠١٧م[٣]:

بعنوان: شعر الصعاليك وتأثيره بالبيئة.

تتفق الدراسة مع دراستي فكل منهما تناول موضوع الصعلكة، وتختلف في أن دراستي اقتصرت على المرأة عند الشعراء الصعاليك في حين أن الدراسة السابقة تناولت البيئة وأثرها على الصعاليك.

---

[١] أحمد سلمان مهنا، المرأة في الشعراء الصعاليك في الجاهلية والإسلام، رسالة ماجستير في اللغة العربية، الجامعة الإسلامية، غزة، كلية الآداب، غزة، ٢٠٠٧م.

[٢] وداد دشون حادم خدام، الوصف عند الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، رسالة ماجستير في اللغة العربية، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، كلية اللغات، السودان، ٢٠١٨م.

[٣] عبد الرحيم عصام أحمد عبد الرحيم، شعر الصعاليك وتأثره بالبيئة، رسالة ماجستير، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، كلية التربية، السودان، ٢٠١٧م.

٤/ دراسة نمارق الرشيد، ٢٠١٦م[١]:

بعنوان: الوصف عند الشعراء الصعاليك (عروة بن الورد والشنفري نموذجاً).

تتفق الدراسة مع دراستي في كل منهما تناول موضوع الصعلكة، وتختلف في أن دراستي اقتصرت على المرأة عند الشعراء الصعاليك، في حين أن الدراسة السابقة تناولت الوصف والشنفري نموذجاً.

٥/ دراسة: تاج السر خلف الله، ٢٠٠٣م[٢]:

بعنوان: الشعراء الصعاليك في الجاهلية والهمباته في السودان.

تتفق الدراسة مع دراستي في كل منهما تناول موضوع الصعلكة، وتختلف في أن دراستي اقتصرت على المرأة عند الشعراء الصعاليك، في حين أن الدراسة السابقة تناولت المقارنة بين الشعراء الصعاليك والهمباته في السودان.

٦/ دراسة: أمل محمد، ١٩٩٠م[٣]:

بعنوان: شعر عروة بن الورد.

تتفق هذه الدراسة مع دراستي في أن كل منهما تناول موضوع الصعلكة، وتختلف في أن دراستي اقتصرت على المرأة عند الشعراء الصعاليك في حين أن الدراسة السابقة تناولت شعر عروة بن الورد.

---

[١] نمارق الرشيد أحمد حسن، الوصف عند الشعراء الصعاليك (عروة بن الورد والشنفري نموذجاً)، رسالة ماجستير في اللغة العربية، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، كلية اللغة، السودان، ٢٠١٦م.

[٢] تاج السر خلف الله الماحي، الشعراء الصعاليك في الجاهلية والهباته في السودان، رسالة ماجستير في آداب اللغة العربية، جامعة النيلين، السودان، ٢٠٠٣م.

[٣] أمل محمد العباس، شعر عروة بن الورد، رسالة ماجستير في الأدب والنقد، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية الدراسات العليا، السودان، ١٩٩٠م.

الفصل الأول

الصعلكة

المبحث الأول: الصعلكة مفهوماً وأسباباً، وأنواعاً، وصفاتاً.

المبحث الثاني: شعر الصعلكة وأغراضه.

المبحث الثالث: خصائص شعر الصعلكة.

المبحث الأول

الصعلكة، مفهوماً وأسباباً وأنواعاً، وصفاتاً

١/ مفهوم الصعلكة والصعلوك:

الصعلكة كما جاء في معاجم اللغة – هي الفقر والصعاليك هم الفقراء، ففي لسان العرب: الصعلوك الفقير الذي لا مال له، زاد الأزهري ولا اعتماد وقد تصعلك الرجل إذا كان كذلك. يقول حاتم الطائي:

غُنياً زماناً بالتّصعُلكِ والغِنى وكُلّاً سقَانَاهُ بكأسيهما الدهرُ[١]

وفي الصحاح – الصعلوك الفقير ... وكان عروة بن الورد يسمى عروة الصعاليك؛ لأنَّه كان يجمع الفقراء فيرزقهم مما يغنمه، والتصعلك الفقر[٢].

ومعنى الصعلكة في الأصل: الصغر والإنجراد، ولتوضيح هذا المعنى اللغوي قال يوسف خليف، الصعلوك هو الفقير الذي لا مال له يستعين به على أعباء الحياة[٣]، ولكن هناك معنى سلوكي عرفي تنبه له أبو زيد القرشي في جمهرة أشعر العرب حيث قال: الصعلوك الفقير، وهو أيضاً المتجرد للغارات[٤]، ويقول على الجندي: الصعاليك، جمع صعلوك، وهو الفقير، وفي اصطلاح الأدبيين تطلق على فئة من الفقراء اتخذوا لأنفسهم طريقة خاصة في حياتهم وسلكوا سلوكاً له سمات معينة، أهمها الأنفة والإباء، والترفع عن الصغائر والدنايا، وحقير الأعمال معتمدين في

---

[١] لسان العرب، ابن منظور، المطبعة الأميرية، مصر، ط١، ١٣٠٠هـ، مادة "صعلك".

[٢] الصحاح للجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، مادة "صعلك".

[٣] انظر الأدب الجاهلي، قضاياه أغراضه، غازي طليمات، عرفات الأشقر، دار الفكر، دمشق، ط٢، ص: ٢٦٧.

[٤] جمهرة أشعار العرب، أبو زيد القرشي، دار النهضة للطباعة والنشر، القاهرة، ص: ٥٦٥.

حياتهم على القوة والبطش وانتهاز الفرص، وخفة الحركة، وسرعة الجري، والسلب والنهب والفتك بالأعداء[١].

٢/ أسبابها:

أ/ الفقر:

إن أسباب الصعلكة، الفقر وقلة الموارد المعيشية في أرض مترامية الأطراف يعتمد أهلها على الماشية، فيشربون من ألبانها ويأكلون من لحومها ويلبسون من أصوافها، فالفقر كان دائماً بارزاً ومهماً في ظهور هذه الظاهرة في العصر الجاهلي، يقول عروة بن الورد:

دَعيني لِلغنى أَسعى فَإِنَي رَأَيتُ النَاسَ شَرُّهُم الفَقيرُ
وَأَبعَدُهُم وَأَهوَنُهَم عَلَيهِم، وَإِن أَمسى لَهُ حَسَبٌ وخيرٌ[٢]

ب/ غياب الدولة والسلطة:

لذلك لم يعرف الجاهليون الدولة الجامعة التي تبسط عليهم سلطانها، وتفرض قوانينها وتنظم شؤونهم وتسير حياتهم، بل كان النظام القبلي هو السائد في الجزيرة العربية.

يقول الشنفري في اللامية مفضل الحياة مع الوحوش مع حياة وسط مجتمع ظالم:

أَقيمو بَني أُمي صُدورَ مَطِيَّكُم فَإِنِّي إلى قَومٍ سِواكُم لأميلُ
فَقَد حُمَّت الحاجاتُ واللَيلُ مُقمِرٌ وَشُدَّت لِطِيَّات مطَايا وَأَرحلُ[٣]

---

[١] في تاريخ الأدب الجاهلي، علي الجندي، دار المعارف، القاهرة، ص: ٤٣٨.

[٢] ديوان عروة، دراسة أسماء أبو بكر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م، ص: ٧٩.

[٣] شعر الصعاليك، عبد الحليم حنفي، ص: ٤٦.

ج/ طبيعة الأرض في الجزيرة العربية:

لقد كانت الجزيرة العربية بطبيعتها الجغرافية المتميزة، تُعَدْ ملاذ آمناً للصعاليك حيث إن الصحراء المترامية الأطراف والجبال العالية الممتدة، وندرة الممتدة، وندرة المياه، وصعوبة الطقس من شدة الحر والبرد، كل ذلك حمل الصعلوك يشعر بالأمن على نفسه.

نجد في شعر العرب عامة والصعاليك خاصة ما يصور لنا جانباً من طبيعة البيئة القاسية، فهذا امرؤ القيس يصف وادياً مجدباً مفقراً لا حياة فيه، تقوى فيه الذئاب الضارية فيقول:

وَوَادٍ كَجَوفِ العَير قَفْرٍ قطعتُهُ بِهِ الذئبُ يعَوي كالخَليع المُعَيَّلِ
فقلت لـه لما عوى إن شأننا قليل الغنى إن كنت لما تموَّل[1]

د/ التمرد والخروج على الأعداء السائدة:

إن الشذوذ وسوء الخلق يكاد لا يخلو منه مجتمع، وكان يقابل في الجاهلية بنظام قبلي صارم، ففي الجاهلية كانت القبيلة تتبرأ من الشخص الذي تكثر جرائمه وجناياته.

إن الصعاليك فرغوا حياتهم لمزاولة الأعمال العدائية من سطو، وقطع للطريق واعتداء على الممتلكات، ومن هؤلاء: الإحيمر السعدي، وأبو الطمحان القيني، وصخر العذلي وغيرهم[2].

أنواع الصعاليك:

لقد قسمت كتب الأدب الصعاليك إلى قسمين، لكل قسم له صفة تختلف عن الآخر:

---

[1] ديوان امرؤ القيس، دار المعارف، بيروت، لبنان، ط٤، ١٩٨٤م، ص: ٥١.

[2] الأغاني للأصفهاني، دار الثقافة، بيروت، ص: ١٣٧.

١/ الصعلوك الخامل:

هو الفقير الذي ارتضى لنفسه التسول والتطفل والهوان على الناس، والصعلوك من هذا النمط أن يطوف في الليل على المجازر ليلتقط العظم الهش قانعاً ليأكله، وهو لسقوط همته يرضى من الزاد بفتات الموائد، ومن العمل بخدمة نساء الحي اللواتي يسخرنه طوال النهار في الكنس والحلب، فإذا أمسى ألقى بنفسه على الأرض كالبعير الذي أنهكه قطع القفار في الأسفار.

قال عروة يذم هذا الصعلوك:

لحَيَ الله صُعلوكاً إذا جَنَّ ليلُةُ مصافي المشاسِ آلفاً كل مجزرِ
يَعُدّ الغِنِي من نفسِه كلّ ليلة أصابَ قِراها من صَديق ميسَّر
يُعينُ نِساء الحيَّ ما يَستِعنّه ويمسي طليحاً كالبعيرِ المحسرِ[١]

٢/ الصعلوك العامل:

هو الخارج على الأعراف، الذي مرد وفتك، وغصب من حرموه، ورأى الدكتور شوقي ضيف أن للصعاليك ثلاثة أنواع: المنبوذين، والأغربة، والمحترفين[٢].

النوع الأول: يضم الخلعاء والشذاذ الذين نبذتهم قبائلهم لما اقترفوا من جرائم، مثل: حاجز الأزدي، وقيس بن الحدادية، وأبو الطمحان القيسي.

النوع الثاني: يندرج تحته من ولدتهم أمهات سود، فرفض آباؤهم إلحاقهم بأنسابهم، مثل: السليك بن السلكة، والشنفري الأزدي، وتأبط شراً. وهم سود كأمهاتهم، ولذلك سموا أغربة العرب.

---

[١] انظر الأدب الجاهلي (قضاياه، أغراضه، قوته)، غازي طليمان، وعرفات الأشقر، دار الكفر، دمشق، ط٢، ص: ٢٦٧.

[٢] تاريخ الأدب الجاهلي، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ج٤، ط٢٢، ص: ٣٧٥.

النوع الثالث: اتَّخذ الصعلكة حرفة وصناعة، وهذه الصناعة قد تعم قبيلة كاملة مثل قبيلة هذيل، وقبيلة خصم، وقد تخص آحاد كعروة بن الورد.

صفات الصعاليك:

من صفات الصعاليك، الذكاء، واليقظة الدائمة، الجرأة المتهورة، والاقتحام، والاعتماد على النفس، والنشاط الجم.

أما أخلاقه فمجموعة من النقائض، فهو بعض الأحيان كريم النفس واليد يؤثر غيره على نفسه فيجوع ليطعم الفقير البائس، ويهزل ليسمن غيره، ويرى أعظم أمانيه في إطعام ما أعد له، ويخيل إليه أن المعطين يأكلون أبعاضاً من جسمه، وهو عنهم راض، وبجرعة من الماء قانع. قال عروة بن الورد:

إِنَّي أمرؤ عافي إنائي شركةٌ وأنتَ أمرؤ عافي إنائك واحدُ
أتهزأُ مني أن سمنتَ وأن ترى بوجهي شحوب الحقِّ والحق جاهد
أقسم جسمي في جسوم كثيرة وأحسُو قراحَ الماء والماءُ باردُ[1]

أما الجانب الآخر للصعاليك هو الفتك والبطش وربما وجدت فيهم من لا يرحم الضعيف، أيبخل من المجاهرة بالأذى، والبغي وترويع الآمنين، لذلك جاءت صفات الصعاليك متناقضة، وأكثر الصعاليك دوراناً على الألسن هم: (عروة بن الورد، وتأبط شراً، والسليك بن السلكة).

---

[1] الأدب الجاهلي (قضاياه، أغراضه، قوته)، غازي طليمان وعرفات الأشقر، ط٢، دار الفكر، دمشق، ص: ٢٧.

المبحث الثاني

شعر الصعلكة وأغراضه

ظفر شعر الصعاليك على قلته بعناية الرواة، فجمع واتخذ مكانة في الشعر العربي، وإذا أضف إلى شعرهم اللصوص اجتمع قدر غير يسير من الشعر، إلاّ أنّ شعر ذو سمات خاصة منها أنه مجموعة من المقطعات القصيرة والطوال من قصائد كلامية الشنفري قليلة.

وأهم أغراض تصوير الصعلكة بما فيها من تمرد وترصد وتوعد وحياة مشردة قوامها الاشتراك في اقتناص الأسلوب واغتنامها والهزء بالصلات القبلية، والدعوة إلى تضامن الصعاليك على ما بينهم من اختلاف في الأنساب.

١/ المغامرة:

المغامرة روح الصعلكة، والسلك الذي ينظم حياة الصعاليك من أولها إلى آخرها، ضمن أخطارها صنعوا أعرافهم، ومن خروجها على المألوف سنوا لأنفسهم سننا يتبعونها.

خرج الشنفري الأزدي مع ثلة من الفتاك، يجوسون البلاد، ويتخللون مضارب الآمنين في جوف الليل كما تخرج الذئاب الجائعة باحثة عن فرائسها، فكانت وجوههم تضئ كأنها سرج موقدة، أو غدرات مرت فوقها أشعة صفراء ذهبتها، وهم عطاش جياع، طعامهم أمل يراود النفوس وتراوده:

خَرَجنا فَلَم نَعهَد، وَقَلَّت وَصاتُنا ثمانية ما بعدها مُتَعَتَّبُ
سَراحينُ فِتيانٍ كأنَّ وُجوهَهُم مصابيحُ أو لونُ من الماءِ مُذهبُ
نَمُرُّ بِرَهوِ الماءِ صَفِحاً، وقد طوت ثمائلُنا والزادُ ظَنٌّ مُغَيَّبُ[١]

[١] ديوان الشنفري، دار النشر، بيروت، ط٢، ١٩٩٦م، ص: ٢٧.

وربما اكتفى الصعلوك من الإغارة بالتهديد، فتوعد خصمه، ونذره، فإذا كان خصم الصعلوك والسيفان لا يجتمعان في غمد فقد ضاف تأبط شراً يختتم وبجلية وثمالة بعد أن بطش بهذيل وأن هذا الشر سيمحقهم عند أول لقاء:

أرى قدَميَّ وقَعهُما خَفيف ... كتحليل الظَّليم حَدَا رِئالَه
أرى بهما عذاباً كل يومٍ ... بخَثْعَم أو بَجِيلَةَ أو ثُمالَهْ
وشرٌّ كان صُبَّ على هذيلٍ ... إذا علقت حِبالهُم حِبالَهَ[1]

٢/ الفرار:

لقد تغنى شعراء الصعلكة بالفرار ولم يجدوا في ذلك غضاضة لأن أهم قيمة يحاربون في سبيلها الحفاظ على الحياة والبقاء في مجتمع أنكر عليهم حق الحياة والبقاء والفرار عند العرب صفة ذميمة خارجة عن المألوف، ومن هذا المنطلق راح تأبط شراً يفخر بسرعة عدوه، قدى نفسه بالجواد الأصيل، والصقر الجبلي، وغاظ خصومه بفراره منهم وفي حوزته أموالهم فقال:

لا شَيءَ أَسرعُ مِنَي ليس ذا عُذَرٍ ... وَذا جَناحٍ بِجَنبِ الرَيدِ خَفّاق
حتى نَجَوتُ ولمّا يَنزِعوا سِلَبي ... بِوالِةٍ من قَبيضِ الشّدِّ غَيداق

وربما كان حاجز الأزدي أشد الصعاليك مباهاة بالفرار، وإن لم يكن أسرعهم في العدو، فإذا كان الفرسان يتنصلون من الفر فحاجز حمل رسوله إلى صاحبته ذات الخواتم خبر نجاته من خصومه:

ألا هَلْ آتي ذاتَ الخواتِم فَرِّتيْ ... عَشِيّة بين الجُرف والنّجدِ من يَعرِ
عَشِيَّةَ كادتْ عِامرُ يَقْتُلونَني ... لَدى طَرَفِ السَّلماءِ راغبةِ البَكرِ

---

[1] تاريخ الأدب العربي، مصطفي السعافيني، صلاح جرار، هشام ياغي، ص: ١٦٥.

وعلل يوسف خليف هذه الظاهرة في شعر الصعاليك، فقال: ويبدو أن جرد هذا إلى شيئين: أولهما شعورهم بأنها مميزة تفردوا بها من بين إخوانهم البشر، وثانيها إيمانهم بأنها من الأسباب الأساسية في نجاتهم من كثير من المزق الحرجة.

٣/ الخيل والسلام والمراقب:

في شعر الصعاليك وإن كان أكثرهم عدائيين، لوصف الخيل والسلاح، لأنهم لم يكونوا جميعاً يركبون سوقهم وأقدامهم، فقد ظهر بينهم فرسان مدججون بالسلام. كعروة بن الورد والشنفري[١].

ويقول الدكتور سليمان محمد سليمان في كتابه الأدب الجاهلي أن الصعاليك فكلهم كان على اختلاف حظوظهم من السلاح مسلحاً بسيف أو رمح أو قوس أو بهم جميعاً. ولذلك ذخر شعر الصعلكة بوصف الأسلحة أثر الأشياء عند الصعاليك. وكيف لا يتغنون بها وهي كل ما يملكون، وهذا عمر بن براقة يصف سيفه يقول:

وكيف ينام الليل من جل ماله حسام كلون الملح أبيض صارم
غموض إذا عض الكريهة لم يدع له طمعاً طوع اليمين ملازم

وحسبك أن تقرأ ما قال تأبط شراً في رثاء الشنفري لترسم في ذهنك صورة الفارس الكامل، ويمتطي جواداً أشقر سريع الجري ويقول:

يُفرَّجُ عنه غُمَّةَ الرَوعِ عَزمُهُ وَصَفراءُ مِرنانُ وأَبيضُ باتِرُ
وأشقَرُ غَيداقُ الجِراءِ كَأَنَّهُ عُقابُ تَدَلّى بين نيقَينِ كاسِرُ[٢]

---

[١] الأدب الجاهلي (قضاياه، أغراضه، قوته)، غازي طليمان وعرفات الأشقر، دار الفكر، دمشق، ص: ٢٧٤.

[٢] انظر الأدب الجاهلي وتاريخه – تاريخ نصوص دراسات، سليمان محمد سليمان، دار الوفاء، الإسكندرية، ط١، ص: .

٤/ أواصر ومآثر:

إذا كان الصعاليك قد قطعوا أواصر القربى التي تشدهم إلى احتيالهم فقد نسجت لهم الصعلكة أواصر جديدة القربى التي تشدهم إلى خيالهم فقد نسجت لهم الصعلكة أواصر جديدة، خيوطهم اشتراكهم في التشرد وانتماؤهم إلى الجبال، فتأبط شراً كان مزهواً بكوكبة الفتيان الشجعان، حتى تغدو عيونهم مجامر تلقى فيها الأعشاب اليابسة:

مساعِرَةُ شُعثُ، كأن عَيونَهُم حرَيقُ الفضاء تُلقى عليه الشقائِقُ

وهذه الحياة القاسية جعلت الصبر أهم الفضائل عند الصعاليك، فالواحد منهم قد يبيت على الطوى أياماً، لأنه يرفض التضرع والتخشع والأكل من فتات الموائد، فإذا حس بالجوع تمضغ معدته لعلل بالماء الزلال، قال أبو خراش:

وإنِّي لأُثوى الجوع حتى يَمَلَّنَي فيذهَبَ يَدنَس ثِيابي ولا جِرمي
وَأغتَبِق الماءَ القَراحَ فَأَنتَهي إذا الزادَ أمسى لِلمُزَلَّجِ ذا طعمِ[1]

[1] الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، ج١، ص: ١٩٨.

المبحث الثالث

خصائص شعر الصعلكة

لا ينفرد شعر الصعلكة بخصائص فنية تميزه من غيره لأنه في جوهره شعر حماسي، تتفجر فيه صيحات الفخر، وشعر الصعلكة على نحو خاص واضح وعلى كثير من هذه السمات وقع الدكتور يوف خليف، لكننا أوجزنا وأطال، وأجملنا وفصل، ومن أبرز هذه السمات:

١/ قصد الأنفاس:

فلو استعرضت شعر الصعاليك وجدت أكثره مقطعات صغاراً، لأن الصدور المحنقة التي لم يكن همها الإطالة والإجادة، بل كان همها إفراغ ما يعروها من مشاعر في مقطعات، تصور التشرد والتوتر والتقلب. وفي هذه الأجواء العاصفة تندر القصائد المطولة كلامية الشنفري، وقافية تأبط شراً.

٢/ وحدة الغرض:

ونعني بهذه السمة أن لكل قصيدة مطولة، أو مقطعة قليلة الأبيات فكرة تعظمها، أو غرضاً يربط آخرها بأولها، والحديث عند وحدة القصيدة الجاهلية. يدرك أن بين أجزاء القصيدة سلكاً ينظمها هو حياة الصعلكة تشرداً وتمرداً وتفرداً وشقوةً[١].

٣/ محاورة الحبيبة لا الوقف على أطلالها:

والصعلوك في هذا المسلك الفني على حق، لأنه قطع صلته بالوطن، والطلل شكل من أشكال الوطن، والوقوف عليه حنين إليه، ولذلك قل في شعر الصعاليك وصف الطلل، وحل محله حوار حي، يعقده الشاعر مع صاحبته أو زوجة كالحوار الذي أصيغت إليه قيل بين عروة الراغب

---

[١] الأغاني للأصفهاني، ج١، مرجع سابق، ص: ٢٧٨.

في السفر وزوجته الراغبة عنه الحريصة على استيفاء الشاعر إلى جانبها. وربما خالط هذه الحوار شيء من غضب المرأة، ويدفعها إلى رمي الشاعر بالنقص، فيرد عليها الشاعر بلسان تأبط شراً، فيقول:

تقولُ سُليمى لجاراتِها أَرَى ثَابِتاً يَفَنأ حَوْقَلاَ
لها الويلُ ما وَجَدتْ ثَابِتاً أَلَفَّ اليَدَين ولازُمَّلاَ[1]

٤/ ضعف الرابطة القبلية:

من ضعفت صلته بالأرض والوطن ضعفت صلته بمن يرتبطون بالأرض والوطن، ومعنى يغزل في حياته الجديدة خيوطاً تشده إلى أمثاله من الشذاذ الذين لفظتهم قبائلهم، أو الثائرين الذين مردوا على أنظمة هذه القبائل وأعرافها.

٥/ السرد القصصي:

روح الصعلكة المغامرة، والمغامرة تحمل صاحبها في كل حين على محمل صعب، وتقوده كل يوم إلى مسلك وعر مخوف، وتقع بين يديه أحداثاً قصصية مثيرة من غزو وسطو، وأسر وفر، وشبع وجوع، فيرويها في شعره، فإذا شعره ملحمة ساحرة آسرة فيها السرد والمحاورة، ووصف الواقع، وتحليل النفس، وليس فيها التجويد والإتقان، والأناة في القص وفق الأصول التي يلتزمها أرباب القصة الشعرية[2].

٦/ الارتجال والطبع:

إذا كان جوهر الصعلكة التشرد والتقلب، فجوهر شعرها الطبع الفطري والارتجال العفوي والتدفق في النظم وراحة العصب من توتره

---

[1] ديوان تأبط شراً، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٨٤م، ص: ١٢.
[2] الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، ج١، ص: ٢٧٩.

بإفراغ شحنته العاطفية في مقطعات سريعة الأداء وظل بعض هذه الألفاظ عصياً على الفهم، فتناولها علماء اللغة تفسيرات متكلفة كعبارة (صيد مالك) في قول تأبط شراً:

يا عيدُ ما لَكَ من شوق وإبراق وَمَرِّ طَيفٍ على الأَهوالِ طَرّاق[1]

٧/ الواقعية الصراح:

لو شئت أن تجمع الخصائص كلها في خصيصة وأن تلخص الكلام عن السمات الفنية لكانت "الواقعية" فأنت واجد في شعر الصعاليك من الصدق الفكري والفني والنفسي ما لا تجد في أغراض الشعر الأخرى[2].

فقد وجدنا الشعراء الصعاليك يفخرون بما تملو به من كرم وعزة نفس وشجاعة وبطولة وإقدام وغيرها من القيم التي صورها خير تصوير من تحملهم وهذه الصفات أكبر دليل على توفر هذه الصفات فيهم.

---

[1] ديوان تأبط شراً، مرجع سابق، ص: ١٠.

[2] معجم الاستشهادات، على القاسيم، مكتبة لبنان، ط١، ص: ٣٠١.

الفصل الثاني

المرأة في الشعر الجاهلي

المبحث الأول: الغزل في الشعر الجاهلي.

المبحث الثاني: وصف المرأة في الشعر الجاهلي.

المبحث الثالث: صور المرأة عند الشاعر الجاهلي.

المبحث الأول

الغزل في الشعر الجاهلي

يستغل الغزل، من الإرث الشعري الذي خلفه لنا العصر الجاهلي، مكاناً واسعاً، حتى ليكاد أن يكون الجزء الأكبر من ثروتنا في هذه العصر. ومطالعتنا دواوين الجاهلين المختلفة تضعنا أمام هذه الحقيقة الواضحة، وهي أن كثير من الشعر الجاهلي الذي وصل إلينا تكاد قاصرة على الغزل أو متصلة به بسبب وأن الأغراض الأخرى جميعاً من الفخر والمدح والهجاء والرثاء لا تعدو أن تكون قسماً لشعر الغزل.

الغزل هو مغازلة النساء أي محادثتهن، والتغزل هو التعلق بهن الغزل والنسيب هو مدح الأعضاء الظاهرة من المحبوب أو ذكر أيام الوصل والهجر.

١/ الوقوف على الأطلال:

يقول امرؤ القيس:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ ومَنْزِلِ بِسِقْطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ
فَتُوْضِحَ فَالمِقْراةِ لَمْ يَعْفُ رَسْمُها لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وشَمْأَلِ
تَرَى بَعَرَ الأرْآمِ فِي عَرَصَاتِهَا وَقِيْعَانِهَا كَأَنَّهُ حَبُّ فُلْفُلِ[1]

ومن الصور الشائعة في المقدمة الطلية أن يبدأ الشاعر بذكر الديار وقد عفت الديار وكادت آثارها أن تمحى، يقول لبيد بن ربيعة في مطلع معلقته:

عَفَتِ الدِيارُ مَحَلُّهَا فَمُقامُهَا بِمَنىً تَأَبَّدَ غَولُهَا فَرِجامهُا

[1] تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام، شكري فيصل، ط٧، دار العلم للملايين، بيروت.

فَمَــدافِعُ الرَيّــانِ عُــرّيَ رَســمُها خَلَقاً كَما ضَمِنَ الــوُحِيَّ سِــلامُها
دِمَنُ تَجَــرَّمَ بَعــدَ عَهــدِ أَنيسِــها حِجَجُ خَلَونَ حَلالُهــا وَحَرامُهــا[1]

ويقول طرفه بن العبد:

لِخَولَــةَ أَطــلالٌ بِبُرقَــةِ ثَهمَــدِ تَلوحُ كَباقي الوَشمِ في ظاهِرِ اليَــدِ
وُقوفاً بِها صَــحبي عَلَــيَّ مَطــيَّهُم يَقولونَ لا تَهلِــك أَســىً وَتَجَلَّــدِ

ويقول زهير بن أبي سلمى:

أمــن أمِّ أوفــى دمنــةٌ لــم تكلَّــمِ بِحَوْمَانَــةِ الــدُّرَّاجِ فــالمُتَثَلَّمِ
دِيــارٌ لهــا بــالرَّقْمَتَينِ كأَنَّهــا مَرَاجِعُ وَشْمٍ في نَوَاشِرِ مَعْصَــمِ[2]

لقد كانت الأطلال على ما فيهــا مــن وحشــة وكآبــة، المــدخل الــذي يفضي منه الشاعر الجاهلي إلى الغزل لارتباطها بأحبتــه. ولمــا كــان الطلــل باب الغزل فقد كان الشــاعر يحييــه، وهــو فــي حقيقــة الأمــر لا يحــب إلا حبيبته، ويدعو له بالسلامة من الآفــات، ألا تــرى امــرؤ القــيس كيــف حيــا ديار سلمى التي محت رسومها الأمطار الغزيــرة التــي ارتحــل عنهــا أهلهــا من شهور:

أَلا عِم صَباحاً أَيُّها الطَلَــلُ البــالي وَهَل يَعِمَن مَن كانَ في العُصُرِ الخالي
وَهَــل يَعِمَــن إِلاّ سَــعيدٌ مُخَلَّــدٌ قَليلُ الهُمومِ مــا يَبيــتُ بِأَوجــالِ
وَهَل يَعِمَن مَن كانَ أَحــدَثُ عَهــدِهِ ثَلاثينَ شَهراً فــي ثَلاثَــةِ أَحــوالِ
دِيارٌ لِسَلمى عافِيــاتٌ بِــذي خــالٍ أَلَحَّ عَلَيهــا كُــلُّ أَســحَمَ هَطّــالِ

---

[1] الأدب الجاهلي، عبد لعزيز بنوي، ط٢، الصدر لخدمات الطباعة، مدينة النصر.

[2] تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام، شكري فيصل، ط٧، ص: ٤٢.

وربما كان ارتباط المرأة بالأطلال في هذا النمط من الغزل تعبيراً عن توق البداوة إلى الاستقرار، وضجر الإنسان من القلق الذي يلازم حياة الترحل.

٢/ الغزل العفيف:

يعد هذا النمط من الغزل أجود الأنماط، وأقربها إلى الفن، وأقدرها على مزج الجمالين: جمال الطبيعة وجمال المرأة، وأنجعها في الكشف عن الذوق العربي في تصور الجمال وتصويره.

إن الشاعر اختصر الطبيعة كلها فكانت المرأة صور الجمال كله، أما المرأة العربي ذات الجمال التام كما صورها الجاهليون في أشعارهم والدكتور نصرت عبد الرحمن في نثره اعتماداً على هذه الأشعار (فبيضاء البشرة أو صفراء، أو بيضاء مشربة بالصفرة، وليست سودات وهي بادن القد، ليس نحيله ولا جبله، وقامتها نياف، طويلة مشرئبة قد جمعت المرادة والجهارة، وهي مصقولة الترائب، جماء التراقي ريانه غير زلاء، جيداء، ممتلئة الزراعين، ريا المعصمين، ريانة الساقين والقدمين، لها حصيد دقيق وكشح هضيم، أملس ذو دعكن وغير مقاضة وعينان كحيلات فيهما فتور وحور، وخد أسيل).

وتحدث امرؤ القيس عن بياض البشرة المشوب بصفرة، فقرنه ببيض النعام، وعن إشراق الصدر والنحر فاسنده من لمعان المرأة فكان أقرب إلى الحضارة، فقال:

مُهَفْهَفَةٌ بَيْضاءُ غيرُ مُفاضَةٍ ترائبها مصقولةٌ كالسجنجل

كِبِكْرِ المُقاناةِ البَياضِ بصُفْرَةٍ غذاها نميرُ الماء غير المحلّلِ[1]

[1] ديوان امرؤ القيس، مرجع سابق، ص: ٤٠.

يتغزل الشاعر ليعبر عن عاطفة الحب للمرأة التي اختارها قلبه، وليعبر عن عاطفة إعجابه بجمال هذه المرأة. ويصف الأمة وآماله، ويكشف عما يختلج بقبله ويختلج بنفسه[1].

ونرى الشاعر الجاهلي يعرض عن محاسن الجسد، ويتغنى بمحاسن الروح وربما يعتقد أنه أفضل فضائل المرأة. وقد ينقلب عجبك إلى إعجاب حين تعلم أن هذا الشاعر قاتل جبلي، يهابه أعتى العتاة، لكنه إذا نظر إلى طرف غضيض منسدل على عين امرأة تمشى على استحياء، والمشية وما تدل عليه، فإذا الشنفري – هذا الصعلوك الشرس الذي قتل قتيل أضعف النساء، فما الذي أعجبه من جمال صاحبته أميمة، قال الشنفري:

لَقَد أَعجَبَتني لا سَقوطاً قِناعُها ... إِذا ما مَشَت وَلا بِذاتِ تَلَفُّتِ
تَبيتُ بُعَيدَ النَومِ تُهدي غَبوقَها ... لجارَتِها إِذا الهَدِيَّةُ قَلَّتِ
تَحُلُّ بِمَنجاةٍ مِنَ اللَومِ بَيتَها ... إِذا ما بُيوتٌ بِالمَذَمَّةِ حُلَّتِ
كَأَنَّ لَها في الأَرضِ نِسياً تَقُصُّهُ ... عَلى أَمِّها وَإِن تُكَلِّمكَ تَبلَتِ
أُمَيمَةُ لا يُخزى نَثاها حَليلَها ... إِذا ذُكَرِ النِسوانُ عَفَّت وَجَلَّتِ[2]

٣/ الغزل الفاحش:

لم تكن نفوس العرب في الجاهلية تألف الغزل المكشوف، بل كانت تؤثر التلميح على التصريح، والإشارة الموحية على العبارة الفاصحة، ولذلك قل في غزلهم والحديث عما يجري بين الرجال والنساء من مراودة تفضي إلى الوصل، فالغزل الفاضح فيه أبيات متفرقات يصف فيها الشعراء ما استتر من جسم المرأة بألفاظ غير مكشوفة، تخفى المعنى

---

[1] الغزل في العصر الجاهلي، أحمد محمد العوض، مكتبة نهضة مصر، ص: ١١.

[2] ديوان الشنفري، مرجع سابق، ص: ٣٢.

الساقط بالعبارة المهذبة. ومنهم امرؤ القيس الفتى المزهو بشبابه الغارق في شهواته الذي طرده أبوه فكان من أوائل، فإذا صادفه غديراً أو روضة أو موضع صيد أقام، فذبح لمن معه في كل يوم، وخرج إلى الصيد، فتصيد ثم عاد فأكل، وأكلوا معه، وشرب الخمر وسقاهم، وغنته غياته، تذكر كتب الأدب أن امرؤ القيس: انتظر ظعن الحي وتخلف عن الرجال حتى إذا طعنت النساء سبقهن إلى الغدير المسمى دارة جلجل واستخفى ثم علم أنهن إذا وردن هذا الماء اغتسلن وهو يرقبهن عاريات، ثم عقر لهن راحلته، فعجلن يشوين ويأكلن.

قال امرؤ القيس يصف هذا اليوم:

أَلاَ رُبَّ يَوْمٍ لَكَ مِنْهُنَّ صَالِحٍ وَلاَ سِيَّمَا يَوْمٌ بِدَارَةِ جُلْجُلِ
وَيَوْمَ عَقَرْتُ لِلْعَذَارَى مَطِيَّتِي فَيَا عَجَباً مِنْ كورها المُتَحَمَّلِ
فَظَلَّ العَذَارَى يَرْتَمِيْنَ بِلَحْمِهَا وشَحْمٍ كَهُدَّابِ الدَّمَقْسِ المُفَتَّلِ[1]

"إن هذا النوع من الغزل أساسه حب تمتزج به ميول شهوانية، أو عواطف خالية من التحرج وأوصاف ربما لا يرضى عنها إلا أنصار الأدب المكشوف" هو تعبير عن نوع من الحب أساسه الشوق إلى الاستمتاع بالمرأة الجميلة في نظر الشاعر، فليس متسماً بالروحانية التي وجدناها عن العذريين[2].

٤/ صور النسيب:

النسيب هو التغزل بمن في الشعر، وامرؤ القيس يقول في النسيب، "نسب بالنساء ينسب نسباً ونسيباً" ومنسبة: شيب بهن في الشعر وتغزل[3].

---

[1] ديوان امرؤ القيس، مرجع سابق، ص: ٢٦.

[2] الغزل في العصر الجاهلي، أحمد محمد الحوفي، ط١، مكتبة نهضة مصر، ص: ١٨٥.

[3] اللسان، (نسب).

وحاول القدامى أن يعطي كل كلمة مدلول مختلفاً، فقال السريري: "النسيب ذكر الشاعر المرأة بالحسن والأحبار عن تصرف هو أصابه، وليس هو الغزل، وإنما الغزل والاشتهار بمودات النساء والصبوة إليهن، والنسيب، ذكر ذلك والخبر عنه[1].

أما قدامة بن جعفر فهو على طريقة أهل المنطق يحب التحديد والتقنين يقول: "إن النسيب ذكر خلق النساء وأخلاقهن وتعرف أحوال الهوى به معهن، وقد يذهب على قوم أيضاً موضع الفرق بين النسيب والغزل، والفرق ببينهما أن الغزل هو أن الغزل هو المعنى الذي إذا اعتقده الإنسان في الصبوة إلى النساء نسباً بهم من أجله فكأن النسيب ذكر الغزل، الغزل المعني نفسه، والغزل إنما هو التصابي والاستهتار بمودات النساء، وإن النسيب التعبير عن هذا المعنى أي عن الغزل، والذي تخرج من آراء اللغويين، أن النسيب هو بمعنى التشبيب وأن الغزل هو التحدث إلى النساء[2].

---

[1] نقد الشعر، قدامة بن جعفر، ط٤، ص: ٦٥.

[2] العمدة، ابن رشيق القيرواني، ج٢، ص: ١١٧.

المبحث الثاني
وصف المرأة في الشعر الجاهلي

ذكر الشعراء أنماطاً مختلفة للمرأة، فقد ذكروا العاذلة، والأم، والزوج والبنت. وقد تبدو صورة المرأة بأنماطها المختلفة في الشعر الجاهلي هي الصورة نفسها في الحياة الواقعية، باستثناء نمط واحد هو الحبيبة. والمرأة المحبوبة هي وحدها، التي خصها الشاعر بالتفصيل، وهي وحدها ستكون موضع الدراسة، يقول الأعشى في وف امرأة من قصيدة يتحدث فيها عن بقائه الليل ساهراً يعاني من الألم والهموم، ثم يشير إلى أن مصدر همه وأرقه امرأة ملكت عليه قلبه، وما عاد يستطيع له فكاكاً، ثم يشبه عيونها بعيون الظبي الحاشي، مشيراً إلى جمال فمها وعذوبته، ثم هي بعد ذلك:

كَأَنَّهـا دُرَّةٌ زَهـراءُ أَخرَجَهـا ... غَوّاصُ دارينَ يَخشى دونَها الغَرقَا
قَد رامَها حِجَجاً مُذ طَرَّ شارِبُهُ ... حَتّى تَسَعسَعَ يَرجوها وَقَد خَفَقا[1]
لا النَفسُ توئسُهُ مِنها فَيَرُكُها ... وَقَد رَأى الرَغبَ رَأيَ العَين فَاِحترقَا

إن المرأة في حياة المجتمع الجاهلي، فهي البوادي والحواضر تقريباً يوشك أن يكون مفهوم الجمال متمثلة بالمرأة متركزاً بها. فالجاهلي لا يجد في حياته الضيقة تعبيراً عن حسّ الجمال إلا في هذا الجمال الأنثوي ولذلك نرى أن المرأة كانت شيئاً هاماً في حياة البادية وفي حياة الجاهلي العاطفية والجمالية.

فالمرأة التي يتحدث عنها الشاعر ذات أوصاف مثالية، وتكاد تكون لا نظير لها بين النساء، ليست سمينة أو نحيلة بل هي في الوسط من هاتين مما ينفي عنها مساوئها، ذات وجه حسن، تجلب إليها الأنظار، وهي

---

[1] الزمن في الشعر الجاهلي، عبد العزيز محمد شحادة، المكتبة الوطنية، ١٩٩٥م، ص: ١٤٢.

غير آبهة لذلك تظهر في الظلام إذ لا يستطيع حجبها، منعمة، طويلة العنق، حديثها عذب لا يمله السامع[1].

كانت المرأة في الجاهلية ذات مكانة مهمة في المجتمع، فلم تكن نكرة ولا محتقرة وكانت لها حرية الاختيار. وكان للنساء كذلك دور في الحروب، فقد اصطحبهن الرجال معهم في غزواتهم لكي يشددن عزائمهم بأناشيدهن، ولندبتهم عندما يموت فارس. ومن هؤلاء النساء الخنساء ولها مرات في أخويها صخر ومعاوية مشهورة.

وكانت المرأة تحرض على الثأر في الحروب، وأكثر ما كان يغضبها قبول عشيرتها الجزية من قبيلة أخرى لتترك الثأر، "فالدم لا يغسله إلا الدم" وقد قالت أم عمرو بنت وخدان عندما أرادت عشيرتها قبول الجزية في أخيها:

إن أنتم لم تطلبوا بأخيكم فذروا السلاح ووحشوا بالأبرق
وخذوا المكاحل والمجاسد وألبسوا نقب النساء فبئس رهط المرهق[2]

فقد وصف الشعراء لباسها وحليها وطيوبها. قال امرؤ القيس:

وَتُضْحي فَتِيتُ المِسكِ فوق فراشها نؤومُ الضُّحى لم تَنْتَطِقْ عن تَفضُّلِ

ووقف الشعراء على جمالها النفسي حيث يظهر محاسنها ومحامدها. هكذا تعلم كيف أن المرأة الجاهلية لم تكن مهملة. وقد ملكت الأموال، ومارست التجارة، وكانت لها حرية جعلتها بارزة في المجتمع الجاهلي.

---

[1] تطور الغزل بين الجاهلية والإسلامي، شكري فيصل، ط٧، ص: ١٧٨.

[2] العرب في العصر الجاهلي، ديزيره سقال، دار الصداقة، بيروت، ط١، ص: ٩١.

المبحث الثالث

صور المرأة عند الشاعر الجاهلي

لقد كانت المرأة ركيزة أساسية في بناء المجتمع فهي مستودع الأمن والاطمئنان لكل رجل ومصدر فيض الشعراء بها وبجمالها وأبدعوا في تصويرها، وتمثل المرأة الجاهلية تمثيلاً تطمئن إليه إلى حد بعيد لأنها صورة متنوعة لا من شاعر واحد أو قبيلة واحدة، وإنما هي الصورة التي رسمها من السفر الضخم من نتاج القرائح المتعددة.

١/ المرأة الأم:

إن الأم تحب ابنها بالفطرة وتحبه لذاته حباً صادقاً يعتبر المثل الأعلى للحب الإنساني كله، فحبها كماء النهر العذب، ينساب من قلبها العطوف كما ينساب الماء من قلب الجبل الأشم إلى الوادي الأخضر الخصيب فهو يشبه ماء النهر في وداعته وهدوئه، ولعل من هذا شيئاً من العدالة الطبيعية من وجهة من الوجوه، ذلك لأن الغالب أن تكون الأمهات أول أمرهن من النساء الحبيبات يتغن الشعراء بشمائلهن الحسنة، ويتغزل بهن المحبوب، ثم يصبحن بعد ذلك زوجات لغير عشاقهن، في العادة عن العرب، والشعر الجاهلي كما يبدو لنا ليس ميداناً لتفصيل تلك الأحوال التي ترجع إلى عهود قديمة لأن الشعر نفسه لا يعني كثيراً بالشرح والتعليل لمثل هذه المظاهر[1]، أما في الشعر فنلحظ هذه الآثار مثلاً في قول لبيد بين يدي النعمان:

نَحنُ بَنو أُمِّ البَنينَ الأَربَعَة وَنَحنُ خَيرُ عامِرِ بنِ صَعصَعَه

وكذلك في لامية العرب:

---

[1] المرأة في الشعر الجاهلي، علي الهاشمي، مطبعة المعارف، بغداد، ص: ١٩٣.

أَقيموا بني أُمّي صُـدورَ مَطـيَّكُم فَإِنّي إِلى قَـومٍ سِـواكُم لأَمَيـلُ[1]

وفي الشعر الجاهلي كثير مما يصور هذا الميـل المـزدوج مـن التعلـق والنسبة لأصل الأب وأصل الأم معاً من هذا قول عنترة:

فَما سَوَّدَتني عـامِرٌ عَـن وِراثَـةٍ أَبـى الله أَن أَسـمو بِـأُمٍّ وَلا أَبِ

٢/ صورة المرأة الابنة (الفتاة):

نعني بالفتاة هنا البنت المخدرة قبل الـزواج وهـي الشـابة غالبـاً التـي ذكرها الشاعر البكري الحارث بن عباد وجعلها نظير ذات البعل في قوله:

أَسلَموا كُـلَّ ذاتِ بَعـلٍ وَأُخـرى ذاتَ خِدرٍ غَـرّاءَ مِثـلَ الهِـلالِ

صور الشعر الجاهلي الفتاة، ولكن عنايته بها لـم تبلـغ عنايتـه بـالمرأة الحبيبة ولا بالأم، لأن دورها في الأسـرة وفـي الحيـاة الاجتماعيـة والقبليـة هي أقل أدوار تلك النساء، فقد صور هذا الشـعر الفتـاة وهـي تـنعم بالجـاه، والتربية العالية، والعيش الرغد في كنـف أبيهـا، وفـي دارهـا التـي تـروح وتسرح فيها. وقال المراد بن منقذ:

نَاعَمَتْهَـا أُمُّ صِـدْقٍ بَـرَّةٌ وَأَبٌ بَـرٌّ بِهـا غَيـرُ حَكِـرْ
فَهْـيَ خَـذوَاءُ بِعَـيشٍ نـاعِمٍ بَـرَدَ العَـيْشُ عَلَيهـا وَقُصِـرْ
لا تَمَـسُّ الأَرضَ إِلاَّ دونَهـا عَن بَلاطِ الأَرضِ ثَـوبٌ مُنعَفِـرْ

فهذه صورة واضحة لفتاة جاهلية، عنـى أهلهـا بأمرهـا واسترخصـوا الغالي من أجـل سـعادتها وراحتهـا فحرصـوا علـى تنشـئتها فـي الخـز، والحرير وتحت ظلال النعمة والجاه العريض، كما عـرف النمـر بـن كولـب بدوره من الطبقات الممتازة عندهم قال:

أَنـاةَ عَلَيهـا لُؤلُـؤٌ وَزَبَرجَـدٌ وَنَظمٌ كَـأَجوازِ الجَـرادِ مُفَصَّـلِ
يُرَبِّتُها التَرعيبُ وَالمحَـضُ خِلفَـةً وَمَسـكٌ وَكـافورٌ وَلُبنـى تَأكُـلُ

[1] ديوان الشنفري، مرجع سابق، ص: ١٥.

يُشَــنُّ عَلَيهــا الزَعفَــرانُ كَأَنَّــهُ دَمٌ قارِتٌ تُعلى بِهِ ثُــمَّ تُغسَــلُ[1]

إن صورة الابنة هي صــورة نــادرة فــي العصــر الجــاهلي. فيقــول الأعشى حين صور ابنته:

تقولُ بِنْتِي وقد قرَّبــتُ مُــرْتَحَلاً: يا رِبِّ جَنِّبْ أبي الأوصابَ والوجعَا
واستِشْفَعَتْ مِن سَرَاةِ الحَيّ ذا شرفٍ فَقَدْ عَصَاها أبُوهــا وَالــذّي شَــفَعَا
مَهْــلاً بُنَــيَّ فَــإنَّ المَــرْءَ يَبْعَثُــهُ هَمٌّ إذا خالَطَ الحَيْــزُومَ وَالضِّــلَعَا[2]

٣/ صورة المرأة المحبوبة:

كرس الشعر الجاهلي قــدراً كبيــراً مــن أشــعاره مــن أجــل المــرأة، وتعرض لوصفها والحديث عنها في مختلف الأدوار التــي تؤديهــا فــي الحيــاة الاجتماعية الجاهلية. صورها حبيبــة، وزوجــة، وأمــاً، وفتــاة وتحــدث عــن وظيفتها وواجباتها في المجتمع ورسم العواطف والمشــاعر التــي يحــس بهــا الآخرون نحوها. لكن عنايته هذه لم تكــن واحــدة وهــي تــؤدي هــذه الأدوار المختلفة في ذلك المجتمع في الجاهلية. ولهذا كان مــا وقفــه الشــاعر الجــاهلي على الحبيبة أكثر مما وقفه على من سواها من النســاء وأكثــر، كمــا تعــرض لها بأسلوب غير مباشر، وأعنى به نســيبه الطللــي. نعــم أنــه أحــب الــديار لحبها، وكره الديار لهجر الحبيبة لها وابتعادهــا عنهــا. ومــا كــان عبيــد بــن الأبرص إلا واحداً من الشعراء الجاهليين حين قال:

فقلت لها: لا تعجلــي! إن منــزلاً نأتني بــه هنــد إلــى بغــيض[3]

---

[1] مرجع سابق، ص: ٢١٤.

[2] ينظر عبد العزيز بنوي، دراسات في الأدب الجاهلي، مؤسسة المختار للنشر، ط٣، القاهرة، ص: ٢٠٠.

[3] عبيد بن الأبرص، شعراء النصرائية، ص: ٦١٣.

وقد صور الشعر جسم المرأة المحبوبة ممتلئاً وقدها رشيقاً أهيف وقوامها كغصن إذا تمايل ليس خضامة. وهو المهفهف غير المفاضي أو المجبال، قال المدار العدوي:

فَهْيَ هَيفَاءُ هَضِيمٌ كَشحُهَا فَخْمَةٌ حَيثُ يُشَدُّ المُؤتَزَرْ[1]

وقال النابغة:

صَفراءُ كَالسِيَراءِ أُكمِلَ خَلقُها كَالغُصنِ في غُلَوائِهِ المُتَأَوِّدِ[2]

وقد وصفوا استقامة قوامها ولينه بالغصن الذي لا التواء فيه وقالوا أن خصرها دقيق هضيم وأردافها ضخمة وكثير ما شبه الجاهليون أوراك النساء بالرمل والكثبان، المليئة بها بيئتهم. ومن هذا يتكون الجسم من الجميل المنسق الصفات الفاتن الجمال.

ومن الدلائل على صدق الحب الجاهلي حرارة الحب والثبات فيه الذين يصورهما الشعر الجاهلي. فالمحبوبة هي غاية المحب فلا ينفعه دونها شيء ولا يلهيه عنها أمر، قال الأعشى:

لا شَيءَ يَنفَعُني مِن دونِ رُؤيَتِها هَل يَشتَفي وامِقٌ ما لَم يُصِب رَهَقا[3]

٤/ صورة المرأة السبية:

إن المرأة السبية هي المرأة العربية الحرة التي تقع في أيدي الأعداء إثر هزيمة قومها، فقد حرص العرب خلال حروبهم على الأسر والسبي أكثر من حرصهم على الغنائم، لأن في الأسر والسبي إذلالٌ للعدو وقهرٌ له. يقول طرفة بن العبد:

---

[1] المراد بن منقذ العدوي، المفضليات، ج١، ص: ٣١ – ٣٢.

[2] النابغة الذبياني، ديوانه، ص: ٦٣.

[3] الأعشى، ديوانه، ص: ٨٠.

يوم تبدي البـــيض عـــن أســـواقها وتلف الخيـــل أعـــراج الـــنعم[1]

وقد صور الأعشى ما يصيب المرأة السبية من مهانة وهوان حين تنكح من غير مهر أو حيث تظل أسيرة حتى يفتديها أهلها بالمال ويقول:

وَمَنْكُوحَـــــةٍ غَيْـــــرِ مَمْهُـــــورَةٍ وَأُخْـــــرْى يُقَـــــالُ لَـــــهُ فَادِهَـــــا

ويقول:

فَمَا بَرْحُوا حتى استُحِثّتْ نِســاؤهم وَأَجْرَوْا عَلَيها بالسّهامِ، فــذَلّتِ[2]

وقد تعيش المرأة الحرة سبية فـــي دار قرابتهـــا، حيـــث تشـــعل الحـــرب بين بطون القبيلة الواحدة، فتخدم أبناء عمومتها راغمة فيقول الأعشى:

وَتُلقى حَصانٌ تَخــدُمُ اِبنَـــةَ عَمِّهـــا كَما كانَ يُلقى الناصِفاتُ الخَـــوادِمُ

إِذا اِتَّصَلَت قالَت أَبَكرَ بـــنَ وائِـــلٍ وَبَكرٌ سَـــبتَها وَالأُنـــوفُ رَواغِـــمُ

٥/ صورة المرأة الزوجة:

وكان حظ الزوجة فـــي الشـــعر الجـــاهلي يلـــي حفـــظ الحبيبـــة. فتكـــاد الصورة التي يصورها فتكاد الصورة التي يصورها لهـــا فـــي الأســـرة تكـــون صورة تامة واضحة، إذ تظهر فهيا الروابط المتينة بينهـــا وبـــين زوجهـــا، بمـــا في ذلك من تبادل للأفكار وتمازج روحي. نعـــم فقـــد أظهرهـــا الشـــعر وهـــي حريصة أشد الحرص على صيانة بيتها، وراحـــة زوجهـــا، ورعايـــة حقوقـــه. وكان الزوج يصغى إليها بعناية فائقـــة، فيســـمع آراءهـــا، ويحـــاول أن يقنعهـــا بسلامة فكره، وصحة تصرفاته[1].

---

[1] ينظر: عبد العزيز بنـــوي، دراســـات فـــي الأدب الجـــاهلي، مؤسســـة المختـــار للنشـــر والتوزيـــع، القاهرة، ط٣، ص: ٢٠٠.

[2] المرجع السابق، ص: ١٩٧.

[1] المرأة في الشعر الجاهلي، علي الهاشمي، مطبعة المعارف، بغداد، ص: ١٤٤.

وصورها الشعر وهي تلوم وتلحف في اللـوم والعتـاب، وهـو يصـغي للومها، وقد يعمل بما تشير به عليه، كل ذلـك قـد شـغل قسـماً كبيـراً مـن الشعر الجاهلي، خصصه الشاعر الجاهلي من أجل الزوجة.

فالزوجة فـي شـعر الصـعاليك غيرهـا فـي شـعر الأمـراء وأبنـاء البيوتات، وهي تختلف في شعر شاعر منهم فـي شـعر شـاعر آخـر، فعـروة بن الورد مثلاً وهو أحد الصعاليك كان عطوفاً، محبـاً لزوجتـه، وهـذا يظهـر من أسلوب مخاطبته لها. يقول:

ذَريني وَنَفسـي أُمَّ حَسّـانَ إِنَّنـي بِها قَبلَ أَن لا أَملِكَ البَيعَ مُشـتَري
أَحاديثَ تَبقى وَالفَتى غَيـرُ خالِـدٍ إِذا هُوَ أَمسى هامَةً فَوقَ صُـيرَّ[1]

أما تأبط شراً فالنساء كانت ترغـب فيـه لمغالاتـه فـي الخشـونة فـي حياته ومعيشته[2].

ومن الصفات الخلقية الكريمة للزوجة الجاهليـة التـي أكثـر الشـعراء من ترديدها، حفظها سر زوجها في غيابه وإخلاصـها وتعلقهـا بـه، وتمنيهـا عودته إذا بعد عنها كما ذكر الشنفري الأزدي الحشـمة والحيـاء الـذي تبديـه الزوجة الكريمة التي ترضـى سـيرتها زوجهـا وجيرانهـا، فكانـت صـورة كريمة للزوجة حقاً. قال:

لَقَد أَعجَبَتنـي لا سَـقوطاً قِناعُهـا إِذا ما مَشَـت وَلا بِـذاتِ تَلَفُّـتِ
تَبيتُ بُعَيدَ النَـومِ تُهـدي غَبوقَهـا لِجارَتِهـا إِذا الهَدِيَّـةُ قَلَّـتِ
تَحُلُّ بِمَنجـاةٍ مِـنَ اللَـومِ بَيتَهـا إِذا ما بُيـوتٌ بِالمَذَمَّـةِ حُلَّـتِ[1]

---

[1] عروة، ديوانه، ص: ٣١.

[2] الأغاني، ج٨، ص: ٢١٠.

[1] المرجع نفسه.

٦/ صورة المرأة الأرملة:

إذا نظرنا لشدة الحروب في العصر الجاهلي، من المؤكد أ تكثر القتلى وتكثر الأرامل، وقد صور الشعراء حالهن أو حال بعضهن ونأخذ مثلاً الأعشى الذي تناول هذا الموضوع حيث ذكر بين عباد ومالك ابني ضبيعة بما فعله قومه، بنو سعيد بن ضعبيعة قائلاً: كم من ملمة وضعنها عنكم وكم من كريه تورد صاحبها الهلاك، فككنا عنكم قيودها، وكم من أرملة تسعى بأطفالها وقد تلبدت شعورهم وأغبرت وعانت من أجل مستقبل أبناؤها، كأنها نعامة تسوق فراخها، آويناها، ثم لم نمتن عليها خصلنا فأصبحت رخية بالبال، بعد أن دفعنا عنها الكرب والهزال، يقول الأعشى:

وَكائِن دَفَعنا عَنكُمُ مِن عَظيمةٍ وَكُربَةِ مَوتٍ قَد بَتَتنا عِقالَها
وَأَرمَلَةٍ تَسعى بِشُعثٍ كَأَنَّها وَإِيّاهُمُ رَبداءُ حَثَّت رِئالَها
هَنأنا وَلَم نَمنُن عَلَيها فَأَصبَحَت رَخِيَّةَ بالٍ قَد أَزَحنا هُزالَها[1]

فالصورة التي رسمها الأعشى للنساء الأرامل وأبنائهن توضح أنهن كانت تعيش نوعاً من الحرمان، ولم يلقين رعاية العشيرة فقد يهملن إلى أسوأ حال.

فالمرأة في الشعر الجاهلي صور كثيرة ما دامت تختلف باختلاف مكانتها من الحبيبة إلى الزوجة والأخت، الأم... الخ.

[1] دراسات في الأدب الجاهلي، عبد العزيز نبوي، ص: ١٩٨.

الفصل الثالث

المرأة في شعر عروة بن الورد

المبحث الأول: التعريف بعروة.

المبحث الثاني: المرأة في شعره.

المبحث الثالث: دراسة فنية بنماذج من شعره.

المبحث الأول

التعريف بعروة

ذكر صاحب الأغاني نسب عروة، فقال: هو عروة بن الورد بن زيد. وقيل: ابن عمرو بن زيد، أبوه من عبس، وأمه من نهد ثم قضاعة. وكنيته أبو نجد. قال الدكتور شوقي ضيف: كان أبوه من شجعان قبيلته وأشرافهم، ومن ثم كان له دور بارز في حرب داحس والغبراء. أما أمه فكانت من نهد من قضاعة، وهي عشيرة وضيعة لم تعرف بشرف ولا خطر، فآذى ذلك نفسه، إذ أحس في أعماقه من قبلها بعار لا يمحى، يقول:

وما بيَ من عارٍ إخالُ عَلمتُهُ سوى أنّ أخوالي إذا نسبوا نَهدُ[1]

فهي عاره الذي حلت البلية عليه منه، والذي دفعه دفعاً إلى الثورة على الأغنياء.

إن صعلكة عروة كما يرى شوقي ضيف نابعة من انتماء أمه إلى قبيلة وضيعة. ولو صح ذلك لكان عنترة ألوى بالصعلكة من عروة لأن أم عنترة أمة حبشية، وأم عروة حرة عربية.

وعلل يوسف خليف صعلكته بحقد دفين زرعه أبوه في نفسه، فقال: "كان له أخ أكبر منه، وكان أبوه يؤثره على عروة فيما يعطيه ويقربه، فقيل له: أتؤثر الأكبر مع غناه على الأصغر مع ضعفه؟ قال: "أترون هذا الأصغر، لئن بقى مع ما أرى من شدة نفسه ليصيرن الأكبر عيالاً عليه".

ونكاد نزعم أن الصعلكة بمعناها المتمثل في اللصوص والفتاك ألصقت بعروة إلصاقاً لأنها ليست من طبعه، فقد وصف بالفروسية، والجود والقيام بأمر العاجزين عن الكسب. ويقول الأستاذ منذر شعار: "عروة صعلوك إذا كانت الصعلكة جود يد، وركوب فرس، وبذل معروف

---

[1] ديوان عروة بن الورد، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م، ص: ٥٦.

وشرف نفس، وإيثار للغير، ورفقاً بالفقير، وغضباً على الغني البخيل، وهو غير صعلوك إذا كانت الصعلكة خلعاً من القبيلة، وتشرداً في الفيافي وتسقطاً للطعام، وسؤالاً للمعروف".

إن أبرز ملامحه وأخلاقه فهو شجاع، كريم، عفيف، ذكي، حازم صريح، حسن العشرة، يلتزم الحق، وينصرف جمع المال، وينشط للعمل الدائب ويكره الخمول والقعود[1].

وفي الأغاني "أن عبساً كانت إذا أجدبت أتى ناس منها ممن أصابهم جوع شديد وبؤس فجلسوا أمام بيت عروة، حتى إذا أبصروا به صرخوا، وقالوا: أيا أبا الصعاليك أغثنا، فكان يرق لهم ويخرج بهم فيصيب معاشهم". وهو بذلك يختلف عن الشنفري وتأبط شراً، إذ لم يغزُ للسلب والنهب، وإنما ليعين فقراء قبيلته، وكان يغير على من عرفوا بالشُّح والبخل، ولا يرعون حقوق أقوامهم. وبذلك نال إعجاب الناس جميعاً، فكانت قبيلته تأتم به في خل له وخصاله، وكان معاوية يقول: لو كان لعروة بن الورد ولد لأحببت أن أتزوج إليهم، وكان عبد الملك بن مروان يقول: "من زعم أن حاتماً أسمح الناس فقد ظلم عروة بن الورد" ويقول أيضاً: "ما يسرني أن أحداً من العرب ولدني ممن لم يلدني إلا عروة بن الورد لقوله:

إني امرؤ عافِي إنائي شركةُ ... وأنتَ امرؤ عافِي إنائك واحدُ
أتهزأُ مني أن سمنتَ وأن ترى ... بوجهي شحوب الحقِّ والحق جاهدُ
أقسم جسمي في جسوم كثيرة ... وأحسُو قراحَ الماء، والماءُ باردُ

---

[1] الأدب الجاهلي (قضاياه – أغراضه – أعلامه)، غاي طليمات، عرفات الأشقر، دار الفكر العربي، القاهرة، ص: ٥٥٨.

وفي ضوء ذلك تــراه يعــرض صــورتين للصــعلوك صــورة رديئــة وصورة جيدة، يبدو في الأولــى خــاملاً ضــعيفاً، تكفيــه لقمــة مــن موائــد الموسرين، ولا عمل له سوى خدمة النساء فنسمعه يقول:

لحي الله صــعلوكاً إذا جــنَّ ليلَــهُ مُصافي المشاشِ ألفاً كل مجــزرَ
يعد الغنى مــن نفسِــه كــلّ ليلــة أصابَ قِراها من صــديق ميســرً

أما الصورة الثانية فيبدو منشرق الوجه بأعمالــه، يطفــر بأعدائــه علــى الرغم من صياحهم به وزجرهم له، فيقول:

ولكن صــعلوكاً صــحيفةُ وجهــه كضوءِ شهاب القــابس المتنــور
مُطِــلاً علــى أعدائِــه يزجرونــه بساحتهم زجرَ المنيح المشــهرِ[1]

وهو بهاتين الصــورتين المتناقضــتين يريــد إيصــال رســالة لزوجتــه ولغيرها، مؤداها أنه يدعو إلــى الغــزو لســد حاجــات المحــرومين، وإبعــاد الشقاء والبؤس عنهم.

الفارس الصعلوك:

كان عروة بن الورد فارســاً مــن فرســان الجاهليــة المعــدودين، كمــا عرفه الأصفهاني صاحب الأغاني في حديثه عنــه، وصــعلوكاً مــن صــعاليكها المعدودين المقدمين الأجــواد، ولقــب بعــروة الصــعاليك لأنــه كــان يجمــع صعاليك العرب ويقوم بأمرهم، ضير على أحوالهم.

إنسانية عروبة:

إن إنسانية عروة وجوده تتمثل أفضل تمثيل في طريقة حياتــه ومعاملتــه للصعاليك الذين كثيراً ما كانوا يتدللون عليه، فيتحملهم لئلا يفسد صــنيعه معهــم ويصبر عليهم أعظم الصبر، ويكظم غيظه، ويعفو عنهم أعظم العفو.

---

[1] الأدب الجاهلي، سامي يوسف أبو زيد، منذر ذيب كفافي، دار المسير للنشر، ص: ٢٤٢.

كان إذا أصاب الناس شدة، وتركوا في دارهم المريض أو الكهل المسن أو العاجز الواهن، قام على الفور بجمع هؤلاء وأشباههم من دون أهله يبني لهم خيمة كبيرة، يكسوهم، ويطعمهم، ويسقيهم، ويرعاهم كل الرعاية، ويعطي كل الناس دون حدود، والشيء الغريب أن عروة إذا أعسر وضاقت به الأمور يذهب إلى الذين أثروا من جوده وكرمه، يطلب منهم القليل، والعون الضئيل، فيردونه خائباً بخفي حنين وهذا ما جعله يقول:

ألا إنَّ أصحاب الكنيفِ وجدتُهم كما الناس لمَّا أخضبوا وتمولوا

على أن هذا لم يكن ليقعد به عن أن يجمع سوى هؤلاء الجاحدين الذين اتخموا من جود عروة، فيحسن إليهم، ويعاملهم أفضل معاملة.

وكثيراً ما كانت زوجاته يلمنه على مغامراته وعلى بذل نفسه من أجل الصعاليك ولعل ذلك هو السبب المباشر في عدم هناء عروة في حياته العائلية. كان عروة لا يستمع إلى لومهن الحاد، على أنه كان من أكثر الرجال أدباً مع زوجاته، ومن أجودهم يداً في معاملتهم بالحسنى يحميهم من كل سوء أو شر[1].

ومثال لذلك ما قالته المرأة الكنانية، التي كان عروة قد أسرها في واحدة من غزواته وتزوجها عن رضى كامل منها، ثم عرف أهلها بالأمر، فأسرعوا يحملون الفدية، ويبدو أن عروة كان محباً لها، ويبدو أيضاً أن المرأة كانت تحبه، ولكن الوطن هو حب المرء الأول، على كل فالمرأة الكنانية، لم تفارق شاعرنا عروة إلا بعد أن قالت له وهي تبكي بكاءً حاراً: "يا عروة! والله ما أعلم أن امرأة ألقت سيدها على بعل خير منه، وأغض طرفاً، وأقل فحساً، وأجود يداً، وأحمى لحقيقة".

---

[1] ديوان عروة بن الورد، مرجع سابق، ص: ١٠.

وفي رواية أخرى أن هذه المرأة الكنانية كانت تدعى (سلمى)، قالت لـــه: "والله إنك، ما علمتً، لضحوك مقبلاً، كسوبُ مُدبراً، خفيفً على متنِ الفرس، ثقيل على العدو، كثير الرماد، راضي الأهل والجانب "الغريب".

ولعل شهرته بـــالكرم والســـماحة والعطـــاء المســـتمر جعلـــت الخليفـــة المثقف عبد الملك بن مروان الأمـــوي يقـــول: "مَـــنْ زعـــم أن حاتمـــاً أســـمح الناس، فقد ظلم عروة"[1].

شاعرية عروة:

لم يكن عروة بن الورد فارساً صـــعلوكاً جـــواداً فحســـب، وإنمـــا كـــان من شعراء العرب المعدودين، حتـــى أن قومـــه، بنـــي عـــبس، كـــانوا يـــأتمون بشعره وعبس هي قبيلة شاعر الحب والحرية، عنترة بن شداد العبسي.

وشعر عروة له عدة خصائص لمقطوعاته الشـــعرية فـــي هـــذا الـــديوان ويمكن لنا إيجازها فيما يلي:

- شعر عروة خرج بعيـــداً عـــن التقليديـــة إلـــى آفـــاق رحبـــة وإلـــى أغراض إنسانية سامية.

- شعر عروة يمتلئ بجمـــال المعـــاني، والطـــراوة، والإيقـــاع العـــذب، والبعد عن الغريب والمستهجن، ويقال أن عـــروة مـــات مقتـــولاً، قتلـــه رجل من بني طهية في سنة ٦١٦م.

عروة بن الورد في تراثنا الأدبي:

قلَّما نجد كاتباً من كتبنا الأدبية التي تـــؤرخ لـــلأدب أو رجالـــه لا تـــذكر عروة أمير الصعاليك، وتحكي بعضـــاً مـــن الكلمـــات التـــي قيلـــت عنـــه، أو بعض القصص والحكايات التي تناولته.

---

[1] ديوان عروة بن الورد، مرجع سابق، ص: ١٢.

وفيما يلي ننقل طرفاً من هذه القصص التي وردت عن عروة في الكتب الأدبية:

ما بين عروة والهزلي:

يقال إن تمامة بن الوليد دخل على المنصور العباسي فقال: يا تمامة هل تحفظ حديث ابن عمك عروة الصعاليك ابن الورد العبسي؟

فقال تمامة: أي حديث يا أمير المؤمنين؟ فقد كانت كثير الحديث حسنه.

قال المنصور: حديثه عن الهزلي الذي أخذ فرسه.

قال ما يحضرني ذلك فأرويه يا أمير المؤمنين.

فقال المنصور: خرج عروة بن الورد حتى دنا من منازل هزيل، فكان منها على نحو ميلين وقد اشتد به الجوع، فإذا هو بأرنب فرماها، ثم أشعل ناراً فشواها وأكلها، ودخنت النار على مقدار ثلاثة أذرع، وقد ذهب الليل، وغادرت النجوم، ثم أتى سرحة فصعدها، وتخوف الطلب، فلما تغيب فيها إذا الخيل قد جاءت وتخوفوا البيان[1].

[1] ديوان عروة بن الورد، مرجع سابق، ص: ١٥.

المبحث الثاني
المرأة في شعر عروة بن الورد

لقد ورد في شعره عدد من الأسماء النسائية وعدداً من أسماء الأمهات، وكان الاسم المميز عنده اسم سلمى وتصغيره سُلَيمى، ومن الأمهات أم حسان وأم وصب، وهذا على سبيل المثال لا الحصر[1].

ومن حكايات عروة مع المرأة أنه خرج للغزو ونهته امرأته عن ذلك خوفاً من الحلول قصاصاً وخرج غازياً، فأصاب هجمة عاد بها على نفسه وأصحابه، فقال ذلك:

أرى أُمّ حسان الغداة تلومُني ... تخوفني الأعداءَ والنفس أخوفُ
تقول سُليمى لو أقمتَ لسرّنا ... ولم تدرِ أني للمُقامِ أُطوّفُ
لعلَّ الذي خوفتنا من أمامِنا ... يصادفُه في أهلِه المتخلفُ[2]

ومن النصوص الشعرية التي تجلب صورة المرأة، قول عروة بن الورد:

أقلي عليِّ اللومَ يا بنت مُنذرْ ... ونامي، فإن لم تشتهي النوم فاسهري
ذريني ونفسي أم حسان، إنني ... بها قبل أن لا أملك البيع مشتري
أحاديث تبقى والفتى غير خالدِ ... إذا هو أمسى هامةً فوق صُيَّر

وأيضاً:

أن تأخذوا أسماء، موقفَ ساعةٍ ... فمأخذُ ليلى، وهي عذراءُ، أعجبُ
لبسنا زماناً حُسنَها وشبابَها ... وردت إلى شعواءِ، والرأس أشيبُ

قالت تماضر:

قالت تُماضرُ، إذ رأت مالي خوى ... وجفا الأقاربُ، فالفؤادُ قريحُ

---

[1] معجم الشعراء وأروع ما قيل في النساء، مي علوش، ط١، ص: ٦٦٠ – ٦٧٠.
[2] المرجع نفسه، ص: ٦٨٠.

مالي رأيتُكَ فـــي النّـــدى منكِّســاً وصباً، كأنّكَ والنـــدى نطـــيحُ؟[1]

وتمثل المرأة فـــي شـــعر الصـــعاليك صـــورة للأنـــا، أو صـــوتاً مـــن أصوات الشاعر الداخلية فتراهم يتحاورون مـــع أنفســـهم مـــن خـــلال حـــوارهم مع الزوجة وهي (تماضر) زوجة عروة بن الورد أمير الصعاليك.

أصاب عوة امرأة من بني كنانة بكراً يقـــال لهـــا ســـلمى، وتكنـــى بـــأم وصب، فاعتقها واتخذها لنفسه، فمكثت عند بضـــع عشـــرة ســـنة وولـــدت لـــه أولاداً، فقال عروة بن الورد:

إذا قلـــت اســـتهلّ علـــى قديـــد بحـــورُ ربابُـــهُ حـــور الكســـير
تكشـــفُ عائـــذٍ بلقـــاء تنقـــى ذكور الخيل عـــن ولـــدٍ شـــفور
سقى سلمى، وأيـــن ديـــار ســـلمى إذا حلـــت مجـــاورة الســـرير

قال ابن الأعرابي: كان عروة بن الـــورد قـــد ســـبى امـــرأة مـــن بنـــي هلال ابن عامر بن صعصعة يقال لهـــا: ليلـــى بنـــت شـــعواء، فمكثـــت عنـــده زمناً، وهي معجبة له، ثم استزرته أهلها، فحملها حتـــى أتـــاهم بهـــا، فلمـــا أراد الرجوع أبت أن ترجع معه، وتوعده قومها بالقتل، فانصرف عنهم.

وهذا الكلام الذي قاله الأعرابـــي يختلـــف تمامـــاً مـــا ورد ذكـــره فـــي القصيدة، حيث يقول:

تحن إلـــى ســـلمى بحـــر بلادِهـــا وأنت عليها، بالملا، كنت أقـــدرا
تحـــلّ بـــوادٍ مـــن كـــراءٍ مضـــلّة تحاول سلمى أن أهابَ وأحصَـــرا
وكيف تُزجيها وقـــد حيـــل دونهـــا وقد جاورت حياً بتيمن مُنكـــرا[2]

---

[1] صورة المرأة عند الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، يوســـف محمـــود عليمـــان، مجلـــة العلـــوم الإنسانية، ٢٠٠٧م، ص: ٢٤٥.

[2] ديوان عروة بن الورد، منشـــورات محمـــد علـــي بيضـــون، دار الكتـــب العلميـــة، بيـــروت، لبنـــان، ١٩٩٨م، ص: ٦٥.

إن المرأة لها دور واضح في حياة الشعراء الصعاليك فهي التي تخاف عليه من الهلاك والضياع. ويقول عروة في الفقر والجوع ويذكر سليمى:

يقول الحقُّ مطلبُهُ جميلٌ وقد طلبوا إليك فلم يقيتوا
فقلت له: ألا أحي وأنت حرٌ ستشبعُ في حياتك أو تموت
وقد علمتْ سليمى أن رأيي ورأي البخل مختلفُ شتيتُ[1]

[1] المرجع السابق، ص: ٦٩.

المبحث الثالث

دراسة فنية بنماذج من شعره

١/ اللغة:

حازم القرطاجني يعرف اللغة بقوله: "لما كان الكلام أولى الأشياء لذا بأن يجعل دليلاً على المعاني التي يحتاج إليها الناس لفهمها بحسب الحاجة ومعاونة بعضهم البعض لتحصيل المنافع وإزالة الصعاب"[١].

لم يكن شعر عروة صعب الفهم، وإنما شعره يمتلئ بجمال المعاني، والطراوة، والإيقاع العذب، والبعد عن الغريب والمستهجن، ولكن حياة الصعلكة جعلته يمر بهذه الصعاب والمخاطر، فلا غرابة إن كانت أشعاره تمثل القوة والصلابة، وهذه الأبيات يشرح فيها عزته وقدرته على تحصيل المال ويقول فيها:

إذا المرءُ لم يبعث سواماً ولم يُـرحْ ... عليه ولم تعطِفْ عليه أقاربُهْ

فللموت خير للفتى من حياته ... فقيراً رمت مولىً تدبُّ عقارِبُه

وسائلةٍ: أين الرحيلُ؟ وسائلٍ ... ومن يسألُ الصعلوك" أين مذاهبُه؟

مذاهبُهُ أن الفِجاجَ عريضةٌ ... إذا ضنَّ عنه بالفعال أقاربُه

فلا أتركُ الإخوان ما عشت للرّدى ... كما أنه لا يتركُ الماءَ شاربُه[٢]

ويقول أيضاً:

أحدثه إنّ الحديثَ من القِرى ... وتعلمُ نفسيِ أنه سوفَ يهجعُ[٣]

---

[١] محمد بن الحسن بن التجاني: الثقفي لدى حازم القرطاجني من خلال منهاج البلغاء وسراج الأدباء الحديثة، الأردن، ط١، ٢٠١١م، ص: ٢٥٣.

[٢] ابن السكين: شعر عروة بن الورد العبسي، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ط١، ١٩٩٥م، ص: ٧٢ – ٧٣.

[٣] المرجع نفسه، ص: ٧٣ – ٧٤.

لذلك لن نذهب بأن نقول لغة عروة بن الورد سهلة، وبالإمكان استيعابها وهذا لأن عروة استخدم لغة البيئة التي سكن فيها وحياته مرتبطة بالمعاناة والصعاب.

٢/ الصورة الشعرية:

هي تركيب لغوي يقوم الشاعر عن طريقها بتصوير معنى عقلي وعاطفي متخيلاً لوجود علاقة بين شيئين.

وتعتبر الصورة العنصر الجوهري في لغة الشعر، فهي أداة الشاعر للتصوير والتخيل، وتكون إما حسية مدركة بالحواس مباشرة وإما ذهنية من صنع الخيال، وإما مجرد شكل من أشكال التزيين البياني.

تبنى الصورة الشعرية بأساليب متعددة من أهمها: المشابهة والتجسيد والتشخيص والتجديد[١].

إن الصورة الشعرية تقف عند الصور البلاغية وهي تتمثل في: الاستعارة والكناية والتشبيه.

أولاً: الاستعارة:

هي تشبيه بليغ حذف أحد طرفيه. نفهم من الكلام السابق أن التشبيه لابد فيه من ذكر الطرفين الأساسيين وهما (المشبه والمشبه به) فإذا حذف أحد الركنين لا يعد تشبيهاً بل يصبح استعارة.

الاستعارة لغة: هي رفع الشيء وتحويله من مكان إلى آخر، كأن يقال: استعرت من فلان شيئاً، أي حولته.

الاستعارة اصطلاحاً: فهي من علوم البلاغة المتعلقة بعلم البيان أحد فروع علم البلاغة.

---

[١] الصورة والبناء الشعري، محمد حسن عبد الله، مكتبة دار المعارف، مصر، ١٩٨١م، ص: ٣٢.

الاستعارة نوع من أنواع المجاز اللغوي في علم البلاغة وهو يشابه بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، والاستعارة نوعان:

أ/ الاستعارة التصريحية: هي ما ذكر فيها أو صرح فيها بلفظ المشبه به.

ب/ الاستعارة المكنية: وهي التي حذف فيها المشبه به، ورمز له بشيء من لوازمه[1].

أمثلة للاستعارة في شعر عروة بن الورد:

يقول:

أقلي عليّ اللومَ يا بنت مُنذرْ ونامي وإن لم تشتهي النوم فاسهري

شبه النوم بالطعام وهو المشبه المحذوف وأبقى على لازمة تعود عليه وهي تشتهي على سبيل الاستعارة المكنية.

ويقول أيضاً:

ثعالبُ في الحربِ فإن تبُخ وتنفرجِ الجُليّ فإنهم الأسدُ

شبه الأخوال وهو المشبه المحذوف بالثعالب وهو المشبه به وأبقى على لازمه تعود عليه وهي الحرب على سبيل الاستعارة المكنية.

ويقول أيضاً:

تجاوبُ أحجار الكِناسِ وتشتكي إلي كلّ معروفٍ رأته ومُنكَر

شبه الأسنان وهو المشبه المحذوف بالحجارة وهي المشبه به وأبقى على لازمه تعود عليه وهي الشكوى وذلك على سبيل الاستعارة المكنية.

كذلك يقول عروة:

أخذتْ معاقلَها اللقاحُ لمجلسٍ حول ابن أكثم من بني أنمارِ[1]

---

[1] علم البيان في البلاغة العربية، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ص: ١٦٧.

[1] ديوان عروة بن الورد، مرجع سابق، ص: ٤١.

شبه القوم باللقاح ثم حذف المشبه وصرح بلفظ المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية.

وفي قوله أيضاً:

تبيتُ على المرافِقِ أمَّ وهبٍ وقد نامَ العيونُ لها كتيتُ

يصف عروة حال زوجته المجهدة في خدمة الضيوف بأنها تنام على مرفقيها وقد علا صوت شخيرها الذي استعار له (الكتيت) لقوته وقد حذف المشبه وصرح بلفظ المشبه به فالاستعارة تصريحية.

وفي قوله أيضاً:

وإذا ما يريحُ الحيَّ صرماءُ جونة ينوسُ عليها رحلها ما يحلُّ[1]

شبه القدر بالناقة يرام بها من المرعى عشاءً، وقد حذف المشبه (القدر) وصرح بلفظ المشبه به (الناقة الصرماء) على سبيل الاستعارة التصريحية.

عروة بن الورد يقول:

وقد عَلِمتْ سُليمى أنّ رأي ورأي البخلِ مختلفُ شتيتُ

هنا شبه البخل بالإنسان إذ جعل له رأياً يوافق أو يخالف، وقد حذف المشبه به وأشار إليه بشيء من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية.

ويقول أيضاً:

قُلتُ لها: يا أمَّ بيضاءَ فتيةٌ طعامُهُم مِن القُدورِ المعجَّلِ[2]

يخاطب عروة القدر التي كناها (بأم بيضاء) مشبهاً لها في ذلك بالإنسان، وقد حذف المشبه به وأشار إليه بشيء من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية.

---

[1] المرجع السابق، ص: ١٧.

[2] ديوان عروة، مرجع سابق، ص: ٥٢.

ثانياً: الكناية:

هي لفظ لا يقصد منه المعنى الحقيقي وإنما معنى ملازماً للمعنى الحقيقي، أو هو لفظ أطلق أريد به لازم معناه لا أصل معناه[١].

الكناية في شعر عروة:

فإن فاز سهمٌ للمنية لم أكن جزوعاً وهل عن ذلك متأخر؟

هنا توجد كناية في (فإن فاز سهم للمنية) وهي كناية عن القوة والشجاعة.

أقسم جسمي في جسوم كثيرة وأحسُو قراحَ الماء والماءُ باردُ[٢]

هنا توجد كناية في (أقسم جسمي في جسوم كثيرة) وهي كناية تدل على الجود والعطاء والكرم.

ويقول عروة في الكناية:

وإن فاز سهم كفكم عن مقاعدٍ لكم خلق أديار البيوت ومنظرِ

الكناية في قوله (مقاعدِ لكم خلف أدبار البيوت) كناية عن هوان المنزلة.

يُعينُ نساء الحي ما يستعنّه ويسمي طليحاً كالبعير المحسَّرِ[٣]

كناية عن الخسة، شبهه بالبعير المتعب ليعبر عن ضعف همته.

قول عروة أيضاً:

ينام عِشاءً ثم يصبح ناعساً يحثُّ الحصى عن جنبِه المتعفر[١]

نجد الكناية في قوله: (يحثُ الحصى عن جنبه المتعفر) كناية عن القذارة والخمول.

---

[١] البديع في علم البديع، يحي بن معطي، تحقيق ودراسة: محمد مصطفى الصاوي الجويني، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، ط١، ٢٠٠٣م، ص: ٧٤.

[٢] المرجع نفسه، ص: ٤٣.

[٣] الأدب الجاهلي (قضاياه – أغراضه – أعلامه – فنونه)، غازي طليمات وعرفات الأشقر، مرجع سابق، ص: ٢٧٧.

[١] ديوان عروة بن الورد، مرجع سابق، ص: ٦٨.

ثالثاً: التشبيه:

تعريف التشبيه وبيان أركانه الأربعة:

التشبيه لغة: التمثيل.

التشبيه اصطلاحاً: عقد مماثلة بين أمرين أو أكثر، قصد اشتراكهما في صفة أو أكثر بأداة، لغرض يقصده المتكلم[١].

كما جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: (هو الذي أنزل عليه الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأُخر متشابهات)[٢].

وأركان التشبيه أربعة:

١/ المشبه: هو الأمر الذي يُراد إلحاقه بغيره.

٢/ المشبه به: هو الأمر الذي يحلق به المشبه (هذان الركنان يُسميان طرفي التشبيه).

٣/ وجه الشبه: هو الوصف المشترك بين الطرفين، ويكون في المشبه به أوقى منه في المشبه، وقد يذكر وجه الشبه في الكلام، وقد يحذف كما يأتي توضيحه.

٤/ أداة التشبيه: هو اللفظ الذي يدل على التشبيه، ويربط المشبه بالمشبه به، وقد تذكر الأداة في التشبيه وقد تحذف[١].

ومثال لذلك قول عروة:

مالي رأيتُكَ في النّدى منكَّساً وصباً كأنّك في الندى نطيحُ؟[٢]

---

[١] المرجع السابق، ص: ٣٨.

[٢] سورة آل عمران، الآية: ٧.

[١] ديوان عروة بن الورد، مرجع سابق، ص: ٣٩.

[٢] ابن السكيت، عروة بن الورد العبسي، مرجع سابق، ص: ٨٨.

وشبه الرجل الذي يجلس في مجلس القوم الخافض الرأس والمريض، بالرجل الذي يجلس في مجلس القوم يتشاءم به.

المشبه: الرجل الذي يجلس في مجلس القوم الخافض الرأس المريض.

الأداة: الكاف.

المشبه به: الرجل الذي يجلس في مجلس القوم الذي يتشاءم به.

وجه الشبه: مقدر وهو التشاءم.

وقوله أيضاً:

كأنَّ خوات الرّعدِ رزءُ زئيره من اللأَّء يسكُنّ العرينَ بِعُثَّرا[1]

شبه زئير الأسد وهمهمته بصوت الرعد.

المشبه: الأسد.

المشبه به: الرعد.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: الزئير.

ويقول عروة أيضاً:

قليلُ التماسِ الزادِ إلا لنفسه إذا هو أمسَى كالعريش المجوّرِ[2]

هنا شبه الإنسان الممتلئ البطن حيث يلقى نفسه كأنه عريش محور أي ساقط.

المشبه: الإنسان الممتلئ البطن.

المشبه به: عريش مجور أي ساقط.

---

[1] ابن السكيت، شعر عروة بن الورد، مرجع سابق، ص: ٨٨.

[2] المرجع نفسه، ص: ٤٦.

الأداة: الكاف.

وجه الشبه: إلقاء النفس.

ومن أمثلة التشبيه في شعر عروة:

بكفِي من المـــأثورِ كـــالمِلح لونُـــه حديثٍ بإخلاصِ الذكورةِ قـــاطع[١]

فقد شبه سيفه الصقيل بالملح.

الأداة: الكاف.

وجه الشبه: اللون الأبيض.

وقوله أيضاً:

ولا بصري عند الهيـــاجِ بطـــامِح كأني بعيرٌ فارق الشولَ نـــازع[٢]

المشبه: الجبان.

المشبه به: البعير التائه.

وجه الشبه: الخوف والذعر.

الأداة: كأن.

رابعاً: المحسنات المعنوية:

هي التي يكون التحسين بها راجعـــاً إلـــى المعنـــى، وهـــي كثيـــرة مـــن بينها: الطباق والتكرار.

الطباق: هو الجمع بـــين الشـــيء وضـــده، نحـــو الجمـــع بـــين الســـواد والبياض، والليل والنهار.

قول عروة بن الورد:

---

[١] ديوان عروة بن الورد، مرجع سابق، ص: ٦١.

[٢] المرجع نفسه، ص: ٦٢.

أقلِي عليّ اللومَ يا بنت مُنذرْ ونامي وإن لم تشتهي النوم فاســهري[1]

هنا يوجد طباق في (نامي وأسهري) طباق إيجابي.

وقوله أيضاً:

إذا قلتُ: قد جاء الغنى حال دونــه أبو صبيةٍ يشكو المفاقِرَ أعجفُ[2]

يوجد طباق في (الغنى المفاقر) طباق إيجابي.

وكذلك يقول:

فلو كنتُ مثلوجَ الفــؤاد إذا بــدت بلاد الأعادي لا أُمِرٌ ولا أُحلــي[3]

يوجد طباق في البيت بين الكلمتين (أمر – أملي) طباق إيجابي.

قال عروة بن الورد:

المــــالُ فيــــه مهابــــةٌ وتجلــــةٍ والفقرُ فيــه مذلــةٌ وخضــوعُ[4]

يوجد طباق بين الكلمات الآتية:

(المال – الفقر، مهابة – مذلة) طباق إيجابي.

وقوله:

وأنــــي لا يُرنــــي البخــــلَ رأيٌ سواءُ إن عطشــتُ وإن رويــت

نجد الطباق في: عطشت – رويت.

وقوله:

دعينــــي للغنــــى أســــعى فــــإنّي رأيتُ النــاسَ شــرُّهُم الفقيــرُ[1]

---

[1] ابن السكيت، شعر عروة بن الورد العبسي، مرجع سابق، ص: ٤١.

[2] المرجع السابق، ص: ٥٠.

[3] المرجع نفسه، ص: ٥٥.

[4] نفسه، ص: ٦٥.

[1] نفسه، ص: ٥٨.

الطباق في: الغنى – والفقر.

وأيضاً:

إذا بَعُـــدوا لا يـــأمنون اقترابَـــه تشوف أهل الغائـــبِ المنتظَّـــر[1]

نجد الطباق في: بعدوا – اقتربوا.

التكرار: لقد ورد التكرار في شعر عروة بن الـــورد فـــي بعـــض أبياتـــه نذكر منها:

إذا قلتُ: قد جاء الغنى حال دونـــه أبو صبيةٍ يشكوا المفاقِرَ أعجـــفُ

له خلـــه لا يـــدخل الحـــق دونهـــا كريم أصابته خطـــوب تحـــرّف[2]

لقد ورد التكرار في كلمتين هما: دونه – دونها.

فللموت خير للفتـــى مـــن حياتـــه فقيراً ومن مولىً تـــدبُّ عقاربُـــهْ

ولا يستضامُ الدهرَ جاري ولا أرىَ كمن بات تسرب للصديق عقاربُه[3]

التكرار في: عقاربه – عقاربه.

إذا مـــا فـــاتتى لـــم اســـتقل حيـــاتي، والملائـــم لا تغـــوثُ

التكرار في: فاتتي – لا تفوت.

وقـــد علمـــتْ ســـليمى أن رأيـــي ورأي البخـــل مختلـــفُ شـــتيتُ

وإنـــي لا يُرنـــي البخـــلَ رأيٌ سواءُ إن عطشـــتُ وإن رويـــت

وأكفي مـــا علمـــتُ بفصـــلِ علـــمٍ وأسأل ذا البيـــان، إذا عميـــت[1]

التكرار في الكلمات الآتية:

رأي – رأي – رأيٌ – البخل – البخل – علمتْ – علمت – علم.

---

[1] ديوان عروة بن الورد، مرجع سابق، ص: ٦٩.

[2] المرجع السابق، ص: ٨٧.

[3] المرجع نفسه، ص: ٤٨.

[1] نفسه، ص: ٥٠.

ويقول عروة:

وإن أخنـــي عليـــكَ فلـــم تجـــده فنبـــتُ الأرض والمـــاءُ القـــراحُ

قالت تُماضرُ إذا رأت مالي خـــوى وجفا الأقاربُ، فـــالفؤادُ قـــريحُ[1]

التكرار في: القراح – قريح.

ما بيَ مـــن عـــارٍ إخـــالُ علمتُـــهُ سوى أنّ أخوالي إذا نســـبوا نَهـــدُ

التكرار في: إخالُ – أخوالي.

ما بـــالثراءِ يســـود كـــل مُســـوِّدٍ مثـــرٍ ولكِـــنْ بالفعـــال يســـودُ[2]

التكرار في الكلمات الآتية: يسود – مُسوِّد – يسودُ.

خامساً: المحسنات اللفظية:

نذكر منها:

١/ الجناس:

الجناس هو من فنون البديع اللفظية، ومن أوائل من خطت إليه عبد الله بن المعتز. عرفه بقوله: "التجنيس أن تجئ بكلمة تجانس أخرى في بيـــت شـــعر أو كلام، ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها وتختلف في المعنى.

ينقسم الجناس إلى قسمين:

أ/ الجناس التام. ب/ جناس غير تام (ناقص).

أ/ الجناس التام:

هو ما اتفق فيه اللفظـــان فـــي أربعـــة أمـــور هـــي: أنـــواع الحـــروف، وأعدادها، وهيئتها الحاصلة من الحركات والسكنات، وترتيبها.

---

[1] المرجع السابق، ص: ٥٣.

[2] المرجع نفسه، ص: ٥٧.

ب/ الجناس غير التام:

وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور الأربعة[1].

قال عروة بن الورد:

ومن يكُ مثلـــي ذا عيـــالٍ ومقتـــراً من المالِ يطرح نفســـه مطـــرح
ليبلغ عـــذراً أو يصـــيبَ رغيبـــةً ومبلغ نفسي عذرها مثلُ مـــنجح[2]

هنا يوجد جناس في:

يطرح ومطرح – جناس ناقص.

عذرا وعذرها – جناس ناقص.

وقال أيضا:

قطعتُ بها شك الحِلاج ولـــم أقـــلْ لخيابـــة هيابـــةٍ كيـــف تـــأمُر؟[3]

يوجد جناس في: جنابة وهيابة – جناس ناقص.

قول عروة بن الورد:

إني امرؤ عـــافِى إنـــائي شـــركةٌ وأنتَ امرؤ عافى إنائك واحـــدُ[4]

نجد الجناس في: إنائي وإنائك – جناس ناقص.

يقول عروة:

ما بـــالثراءِ يســـود كـــل مُســـوَّدٍ مثـــرٍ ولكِـــنْ بالفعـــال يســـودُ[1]

نجد الجناس في: يسود ويسود – جناس تام.

---

[1] علم البديع، د. عبد العزيز عتيق، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م، ص: ١٣٧.

[2] ابن السكيت، شعر عروة بن الورد العبسي، مرجع سابق، ص: ٥٣.

[3] المرجع السابق، ص: ٥٤.

[4] المرجع نفسه، ص: ٦٨.

[1] ديوان عروة بن الورد، مرجع سابق، ص: ٥٧.

وقول عروة أيضاً:

قليـــل ذنبـــه، والـــذنب جـــم ولكـــن للغنـــى رب غفـــور[1]

نجد الجناس في: ذنبه والذنب – جناس ناقص.

ويقول عروة أيضاً:

وزود خبـــراً مالكـــاً، إن مالكـــاً له ردَّةٌ فينـــا، إذا القـــوم زهّـــدُ[2]

نجد الجناس في: مالكاً ومالكاً – جناس تام.

وقوله أيضاً:

ما أنسَ مِ الأشياء، لا أنـــسَ قَولهـــا لجارتها: ما إن يعيشُ بـــأحورا[3]

نجد الجناس في: أنسَ وأنسَ – جناس تام.

قال عروة:

أقسم جسمي فـــي جســـوم كثيـــرة وأحسُوا قراحَ الماء والماءُ باردُ[4]

نجد الجناس في: الماءِ والماءُ – جناس تام.

ويقول أيضاً:

أتهزأُ مني أن ســـمنتَ وأن تـــرى بوجهي شحوب الحقِّ والحق جاهد[1]

نجد الجناس في: الحق والحق – جناس تام.

وقوله أيضاً:

إذا ما أردتُ المجدَ قصّرَ مجـــدهم فأعيا عليّ أن يقـــاربني المجْـــدُ[2]

---

[1] ديوان عروة بن الورد، مرجع سابق، ص: ٥٨.

[2] المرجع السابق، ص: ٦٠.

[3] المرجع نفسه، ص: ٦٦.

[4] ابن السكيت، شعر عروة بن الورد العبسي، مرجع سابق، ص: ٦٩.

[1] المرجع السابق، ص: ٦٨.

[2] المرجع نفسه، ص: ٧٤.

نجد الجناس في: المجد والمجد – جناس تام.

٢/ السجع:

هو توافق الفاصلتين من النثر على حرف واحد، وهذا هو معنى قول السكافي: "السجع في النثر كالقافية في الشعر"[١].

قال عروة بن الورد:

أقلي عليّ اللومَ يا بنت مُنذرْ ونامي وإن لم تشتهي النوم فاسهري[٢]

السجع يكون في الشطر الثاني في حرب "الياء".

وقول عروة أيضاً:

وعيرني قومي شبابي ولمتي متى ما يشاء في غنمٍ آخرَ جعفر[٣]

يوجد السجع في الشطر الأول في حرف "الياء".

وقوله أيضاً:

إني امرؤ عافِي إنائي شركةٌ وأنتَ امرؤ عافِي إنائك واحدُ[١]

يكون السجع في الطشرين أي تساوت.

وقوله أيضاً:

المال فيه مهابة وتجلة والفقر فيه مذلة وخضوع[٢]

يكون السجع في الشطر الأول في حرف "التاء".

وقول عروة أيضاً:

---

[١] علم البديع، عبد العزيز عتيق، مرجع سابق، ص: ١٥٢.

[٢] ديوان عروة بن الورد، مرجع سابق، ص: ٤١.

[٣] ابن السكيت، شعر عروة بن الورد، مرجع سابق، ص: ٦٥.

[١] المرجع السابق، ص: ٦٨.

[٢] ديوان عروة بن الورد، مرجع سابق، ص: ٨٨.

ذريني ونفسي، أم حسان، إنني بها، قبل أن لا أملك البيع، مشتري[1]

يكون السجع في الشطر الأول في حرف "الياء".

وقوله أيضاً:

وإني لا يُرني البخلَ رأيٌ سواءُ إن عطشتُ، وإن رويت[2]

يكون السجع في الشطر الأول في حرف "الياء".

سادساً: الأسلوب:

يتمثل الأسلوب في صياغة الشاعر، في أفكاره وأحاسيسه وعواطفه، لذا إن عروة بن الورد هو الوجه الآخر للصعاليك المحب للزعامة الطموح إلى الكسب، والغنى، الكريم الجواد، كما وصفه الخليفة عبد الملك بن مروان، وروح الزعامة فيه، والقيادة، جعلته ينظم غزواته ومعاركه كما يفعل قادة الجيوش وهم مقبلون على حرب أو معركة، إذ يختار المكان المناسب.

وملامح الأسلوب العامة تبين لنا ما هو يسير مع طبيعة الشاعر، فليس فيه تكلفة أو تصنع، ونرى أن لكل شاعر أو أديب أسلوبه الخاص يميزه عن غيره من الأدباء[1].

قال عروة بن الورد هذه الأبيات لامرأته وهي تعاود إلحاحها ومنعه من الغزو:

أقلي عليّ يا بنت مُنذرْ ونامي وإن لم تشتهي النوم، فاسهري
ذريني ونفسي، أم حسان إنني بها قبل، أن لا أملك البيع مشتري
أحاديث تبقى، والفتى غير خالدٍ إذا هو أمسى هامةً فوق صُيَّر

---

[1] المرجع السابق، ص: ٦٧.

[2] المرجع نفسه، ص: ٥٠.

[1] نفسه، ص: ٦٥.

تجاوبُ أحجار الكِنــاسِ، وتشــتكي إلى كلّ معروفٍ رأته، ومُنكَــر[١]

وهنا يتحدث عروة في هــذه الأبيــات عــن الحيــاة إلــى قادتــه إلــى الصعلكة وكذلك عن زوجته التــي نهتــه لأنهــا خائفــة عليــه مــن الهــلاك فعصاها لأنها بذلك تمنعه عن واجبه:

أرى أُمّ حســان الغــداة تلــومُني تخوّفني الأعداءَ والنفس أخــوفُ
تقول سُليمى: لــو أقمــتَ لســرّنا! ولم تــدرِ أنــي للمُقــام أُطــوّفُ
لعل الــذي خوفتنــا مــن أمامِنــا يصادفُه فــي أهلِــه المتَخَلّــفُ[٢]

وهنا يتحدث عروة بن الورد عن الكرم:

إني امرؤ عــافِى إنــائي شــركةٌ وأنتَ امرؤ عافى إنائــك واحــدُ
أتهزأُ مني أن ســمنتَ وأن تــرى بوجهي شحوب الحقِّ والحق جاهدُ
أقسم جسمي فــي جســوم كثيــرة وأحسُو قراحَ الماء، والماءُ باردُ[٣]

ومن هذه الأبيات نجــد أن عــروة إنســان متفــرد ولاشــك أن طبيعــة الحياة التي عاشها قد انعكست على رؤيتهم للإنسان، ومــن ثــم أصــبح لــديهم رؤية لمعاني القيم والأخلاق، ومــن خــلال التحليــل نجــد أن أســلوبه ســهل الألفاظ والمعاني على سائر الشعراء الصعاليك.

---

[١] المرجع السابق، ص: ٦٧.

[٢] المرجع نفسه، ص: ٨٧.

[٣] نفسه، ص: ٦١.

الخاتمة

بعد أن مَنَّ الله علينا بإتمام هـذا البحـث، خلصـت هـذا البحـث إلـى نتائج وهي على النحو التالي:

النتائج:

١/ إن عروة بـن الـورد سـمت مكانتـه بـين الصـعاليك لمفاهيمـه المتميزة حول مراتب الصعاليك.

٢/ إن المرأة في حياة المجتمـع الجـاهلي فهـي البـوادي والحواضـر تقريباً يوشك أن يكون الجمال متمثل بالمرأة ومرتكزاً بها.

٣/ إن شعر الصعلكة يختلف عن شـعر الجاهليـة عامـة حيـث لـديهم وحدة الغرض.

٤/ أن شعر عروة يمتلئ بجمال المعـاني والطـراوة والإيقـاع العـذب والبعد عن الغريب والمستهجن.

٥/ إن شعر عروة خرج بعيداً عن التقليديـة إلـى آفـاق رحبـة وإلـى أغراض إنسانية سامية.

٦/ إن المرأة لها دور واضح في حياة الشـعراء الصـعاليك فهـي التـي تخاف عليه من الهلاك والضياع.

٧/ أن عروة بن الورد هو الوجه الآخـر للصـعاليك المحـب للزعامـة الطموح إلى الكسب والغنى الكريم الجواد.

٨/ إن المرأة في الجاهلية ذات مكانة مهمـة فـي المجتمـع ولـم تكـن نكرة ولا محتقرة وكان لها حرية الاختيار.

التوصيات:

١/ إجراء المزيد من الدراسات الشعرية والنحوية والصرفية في شعر الصعاليك وخصوصاً عروة بن الورد.

٢/ إجراء دراسات حول شاعرية عروة بن الورد.

٣/ توجيه اهتمام الباحثين بدراسة اللغة العربية وعلومها وخصوصاً الشعر العربي القديم.

المصادر والمراجع

١/ الأدب الجاهلي (قضاياه – أغراضه – أعلامه)، غاي طليمات، عرفات الأشقر، دار الفكر العربي، القاهرة، (د. ت).

٢/ الأدب الجاهلي وتاريخه – تاريخ نصوص دراسات، سليمان محمد سليمان، دار الوفاء، الإسكندرية، ط١، (د. ت).

٣/ الأدب الجاهلي، عبد العزيز بنوي، ط٢، الصدر لخدمات الطباعة، مدينة النصر، (د. ت).

٤/ الأغاني، الأصفهاني، دار الثقافة، بيروت، (د. ت).

٥/ البديع في علم البديع، يحي بن معطي، تحقيق ودراسة: محمد مصطفى الصاوي الجويني، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، ط١، ٢٠٠٣م.

٦/ تاريخ الأدب الجاهلي، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ج٤، ط٢٢، (د. ت).

٧/ تاريخ الأدب العربي، مصطفي السعافيني، صلاح جرار، هشام ياغي، (د. ن)، (د. ت).

٨/ تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام، شكري فيصل، ط٧، دار العلم للملايين، بيروت، (د. ت).

٩/ الثقفي لدى حازم القرطاجني من خلال منهاج البلغاء وسراج الأدباء الحديثة، محمد بن الحسن بن التجاني، الأردن، ط١، ٢٠١١م.

١٠/ جمهرة أشعر العرب، أبو ظيد القرشي، دار النهضة للطباعة والنشر، القاهرة، (د. ت).

١١/ دراسات في الأدب الجاهلي، عبد العزيز بنوي، مؤسسة المختار للنشر، ط٣، القاهرة، (د. ت).

١٢/ ديوان عروة بن الورد، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.

١٣/ ديوان عروة، دراسة أسماء أبو بكر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.

١٤/ الزمن في الشعر الجاهلي، عبد العزيز محمد شحادة، المكتبة الوطنية، ١٩٩٥م.

١٥/ شرح القصائد المشهورات، ابن النحاس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د. ت).

١٦/ شعر عروة بن الورد العبسي، ابن السكيت، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ط١، ١٩٩٥م.

١٧/ الصحاح، الجهوري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، مادة "صعلك".

١٨/ صورة المرأة عند الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، يوسف محمود عليمان، مجلة العلوم الإنسانية، ٢٠٠٧م.

١٩/ الصورة والبناء الشعري، محمد حسن عبد الله، مكتبة دار المعارف، مصر، ١٩٨١م.

٢٠/ العرب في العصر الجاهلي، ديزيره سقال، دار الصداقة، بيروت، ط١، (د. ت).

٢١/ علم البيان في البلاغة العربية، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٦م.

٢٢/ العمدة في إعراب البردة قصيدة البوصيري، مؤلف (العمدة في إعراب البردة) – مجهول، تحقيق: عبد الله أحمد جاجة، تقديم: محمد علي سلطاني، دار اليمامة للطباعة والنشر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

٢٣/ الغزل في العصر الجاهلي، أحمد محمد الحوفي، ط١، مكتبة نهضة مصر، (د. ت).

٢٤/ في تاريخ الأدب الجاهلي، علي الجندي، دار المعارف، القاهرة، ١٤١٢هـ – ١٩٩١م.

٢٥/ الأدب الجاهلي، سامي يوسف أبو زيد، منذر ذيب كفافي، دار المسير للنشر، (د. ت).

٢٦/ لسان العرب، مادة "صعلك"، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.

٢٧/ المرأة في الشعر الجاهلي، علي الهاشمي، مطبعة المعارف، بغداد.

٢٨/ المفضليات، ج١، المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، الطبعة السادسة، (د. ت).

٢٩/ معجم الاستشهادات، علي القاسيم، مكتبة لبنان، ط١، (د. ت).

٣٠/ معجم الشعراء وأروع ما قيل في النساء، مي علوش، ط١، (د. ت).

٣١/ نقد الشعر، قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، أبو الفرج، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، ط٤، ١٣٠٢هـ.

الرسائل العلمية:

٣٢/ أحمد سليمان مهنا، المرأة في شعر الصعاليك في الجاهلية والإسلام، رسالة ماجستير في اللغة العربية، الجامعة الإسلامية غزة، كلية الآداب، غزة، ٢٠٠٧م.

٣٣/ أمل محمد العباس، شعر عروة بن الورد، رسالة ماجستير في الأدب والنقد، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية الدراسات العليا، السودان، ١٩٩٠م.

٣٤/ تاج السر خلف الله الماحي، الشعراء الصعاليك في الجاهلية والهباته في السودان، رسالة ماجستير في آداب اللغة العربية، جامعة النيلين، السودان، ٢٠٠٣م.

٣٥/ عبد الرحيم عصام أحمد عبد الرحيم، شعر الصعاليك وتأثره بالبيئة، رسالة ماجستير، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، كلية التربية، السودان، ٢٠١٧م.

٣٦/ نمارق الرشيد أحمد حسن، الوصف عند الشعراء الصعاليك (عروة بن الورد والشنفري نموذجاً)، رسالة ماجستير في اللغة العربية، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، كلية اللغة، السودان، ٢٠١٦م.

٣٧/ وداد دشون حادم خدام، الوصف عند الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، رسالة ماجستير في اللغة العربية، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، كلية اللغات، السودان، ٢٠١٨م.

الإطار المنهجي والدراسات السابقة

الإطار المنهجي